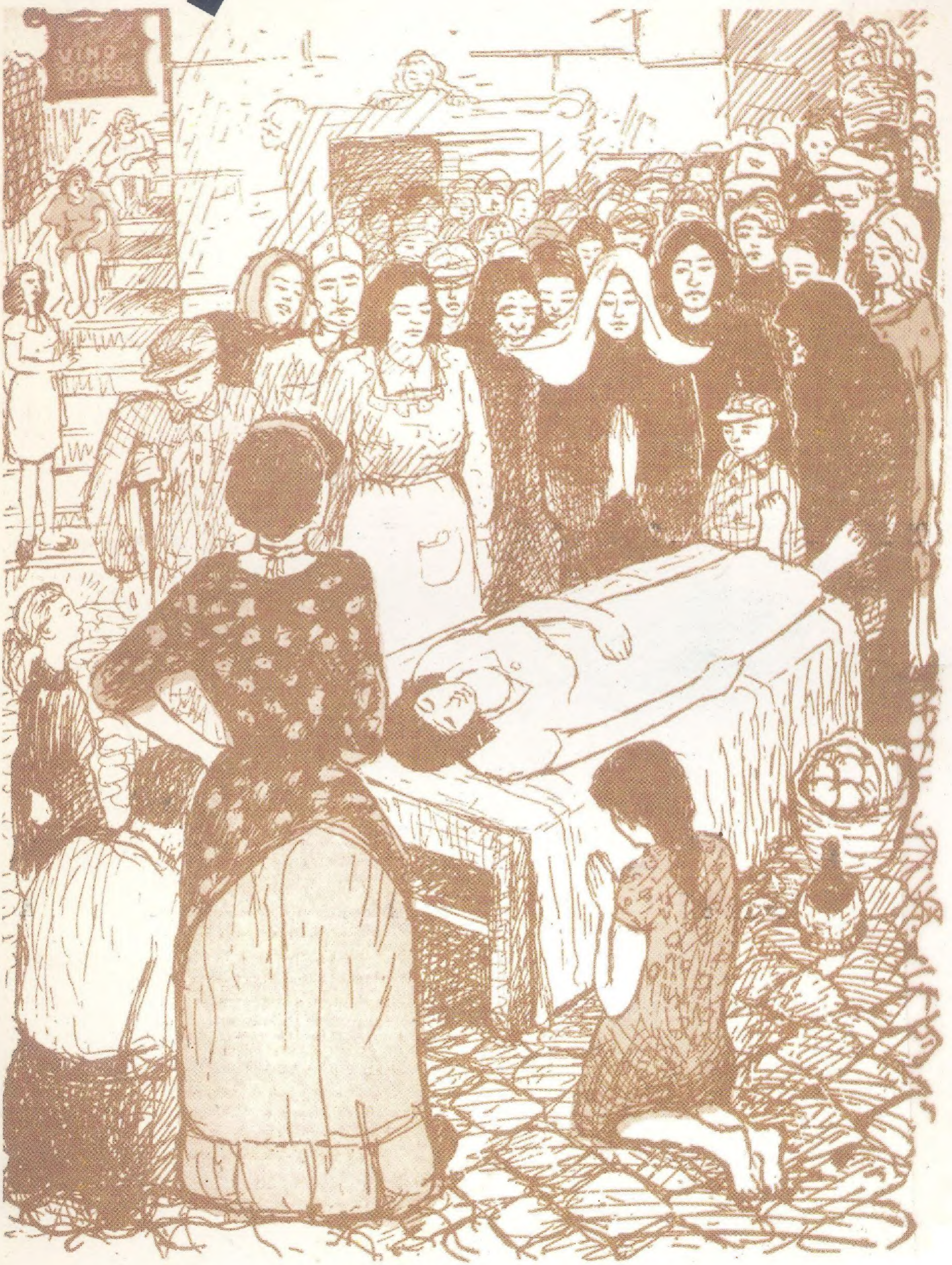


الحدث

تأليف: كورزيو مالابارته
ترجمة: صلاح عبد الصبور
تقديم: سمير فريد



المشروع القومي للترجمة



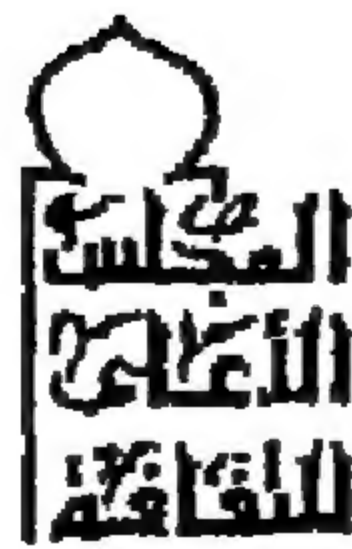
المشروع القومي للترجمة

الجلد

تأليف : كورزيو مالابارتسه

ترجمة : صلاح عبد

تقديم : سمير فريد



٢٠٠١

المشروع القومي للترجمة

إشراف : جابر عصفور

المجلس الأعلى للثقافة

شارع الجبلية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo

Tel : 7352396 Fax : 7358084 E. Mail : asfour @ onebox. com

تهدف إصدارات الشروع القومي للترجمة إلى تقديم كافة الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربي وتعريفه بها ، والأفكار التي تتضمنها لكي اجتهادات أصعبها في ثقافتهم المختلفة ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلس الأعلى للثقافة .

مقدمة

رواية «الجلد» أو «جلد الإنسان»

هناك أيام لا تنسى فى حياة كل إنسان، ومن بين هذه الأيام فى حياتى يوم موت صلاح عبد الصبور، كنت قد أحببت الشعر من خلال قراءة شعره، وأحببته من دون أن أعرفه شخصياً، وعندما تعرفت عليه أثناء رئاسته لهيئة الكتاب ازداد حبى له أو بالأحرى أحببت الإنسان كما أحببت الشاعر، ووقتها كان الصحفى لكى يسافر إلى الخارج يحصل على تصريح عُرف باسم الورقة الصفراء، وعندما منعنى رئيس التحرير من السفر عام ١٩٨٠ لتمثيل مصر فى اللجنة الدولية لكتابة التاريخ العام للسينما التابعة للأمم المتحدة أعطانى صلاح عبد الصبور الورقة الصفراء من هيئة الكتاب بعد موافقة منصور حسن وزير الثقافة آنذاك، ولم أكن موظفاً فى الهيئة، ولكنه لم يعبأ بالقوانين حتى أسافر.

عندما علمت من أحد الأصدقاء بموت صلاح عبد الصبور، والظروف التى مات فيها؛ حيث وجهت إليه كلمات تتضمن اتهامات ظالمة من أحد الذين يزايدون على وطنية الآخرين انهمرت دموعى، وأدركت أن من تكون الكلمة حياته شعراً فنياً لابد أن تكون الكلمة مصيره ومماته أيضاً، لم يحتمل قلب الشاعر الذى عاش يصنع من الكلمات أجمل وأعمق الشعر الاستماع إلى ما استمع إليه من كلمات. أمسكت بالقلم، وظللت أكتب طوال الليل ما يقرب من عشرين

صفحة، وبعد أن انتهيت قررت أن يكون عنوان النص «ليلة موت صلاح عبد الصبور»، ولم أنشره أبدًا، شعرت أن ما كتبتة خاص جدًا لنفسى وإليه، وليس للنشر على الآخرين.

وبعد سنوات، وعندما كنت أقرأ العدد الخاص من مجلة «فصول» الذى حرره الدكتور جابر عصفور عن صلاح عبد الصبور لاحظت فى البليوجرافيا التى نشرت فى نهاية العدد أن الشاعر العظيم ترجم رواية واحدة فى حياته هى رواية «الجلد» أو «جلد الإنسان» للكاتب الإيطالى كوزريو مالابارته، كنت قد شاهدت الفيلم الذى أخرجه ليليانا كافانى عن هذه الرواية، وكشفت لى ترجمته لها عن جوانب لا أعرفها عنه؛ فهو ليس مترجمًا، ولم يترجم فى حياته أى رواية أخرى، واختياره لهذه الرواية إذن ليس تعبيرًا عن رغبة فى الترجمة، أو رغبة فى الاقتراب من عالم الرواية، وإنما الإعلان عن تبنيه وجهة نظر مالابارته فى الحياة والعالم الذى عاش فيه أثناء صعود الفاشية فى إيطاليا والنازية فى ألمانيا ثم سقوطهما بعد الحرب العالمية الثانية التى قتل فيها ٥٠ مليون إنسان.

وعندما بدأ الاستعداد لاحتفال المجلس الأعلى للثقافة بذكرى صلاح عبد الصبور تحت قيادة الدكتور جابر عصفور أيضًا، ولكن بوصفه الأمين العام للمجلس، اقترحت عليه إصدار الرواية لأول مرة فى كتاب، وكانت قد نشرت سلسلة فى مجلة صباح الخير، وأن تكون مقدمة الترجمة هذا المقال الذى نشرته عقب مشاهدة الفيلم فى عرضه

العالمى الأول عام ١٩٨٠ ، والذي دفعنى إلى التعرف على عالم مالا بارتته.

عرض مهرجان كان عام ١٩٨١ الفيلم الإيطالى «جلد الإنسان» إخراج ليليانا كافانى ، وهو الفيلم الطويل السابع للمخرجة التى ولدت عام ١٩٣٧ ، ودرست فى المدرسة القومية للفيلم بروما ؛ حيث أخرجت فيلمين قصيرين عامى ١٩٦١ ، ١٩٦٢ ، ثم أخرجت ثمانية أفلام للتلفزيون الإيطالى (راى) فى الفترة من عام ١٩٦٣ إلى عام ١٩٦٦ .

وقد لفتت ليليانا كافانى الأنظار بأفلامها التلفزيونية المتميزة سواء التسجيلية أو الروائية ؛ إذ بدأت بإخراج فيلم «تاريخ الرايح الثالث» ومدته أربع ساعات ، ثم «المرأة فى المقاومة» ومدته ساعة عام ١٩٦٢ ، ثم «عصر ستالين» ومدته ثلاث ساعات عام ١٩٦٤ ، ثم «محاكمة فيليب بيتان فى فيشى» ومدته ساعة عام ١٩٦٥ ، وأخرجت بعد ذلك «القضية فى إيطاليا» و «المسيح أخى» و «يوم سلام» عام ١٩٦٥ ، ثم «القديس فرانسيس» عام ١٩٦٦ .

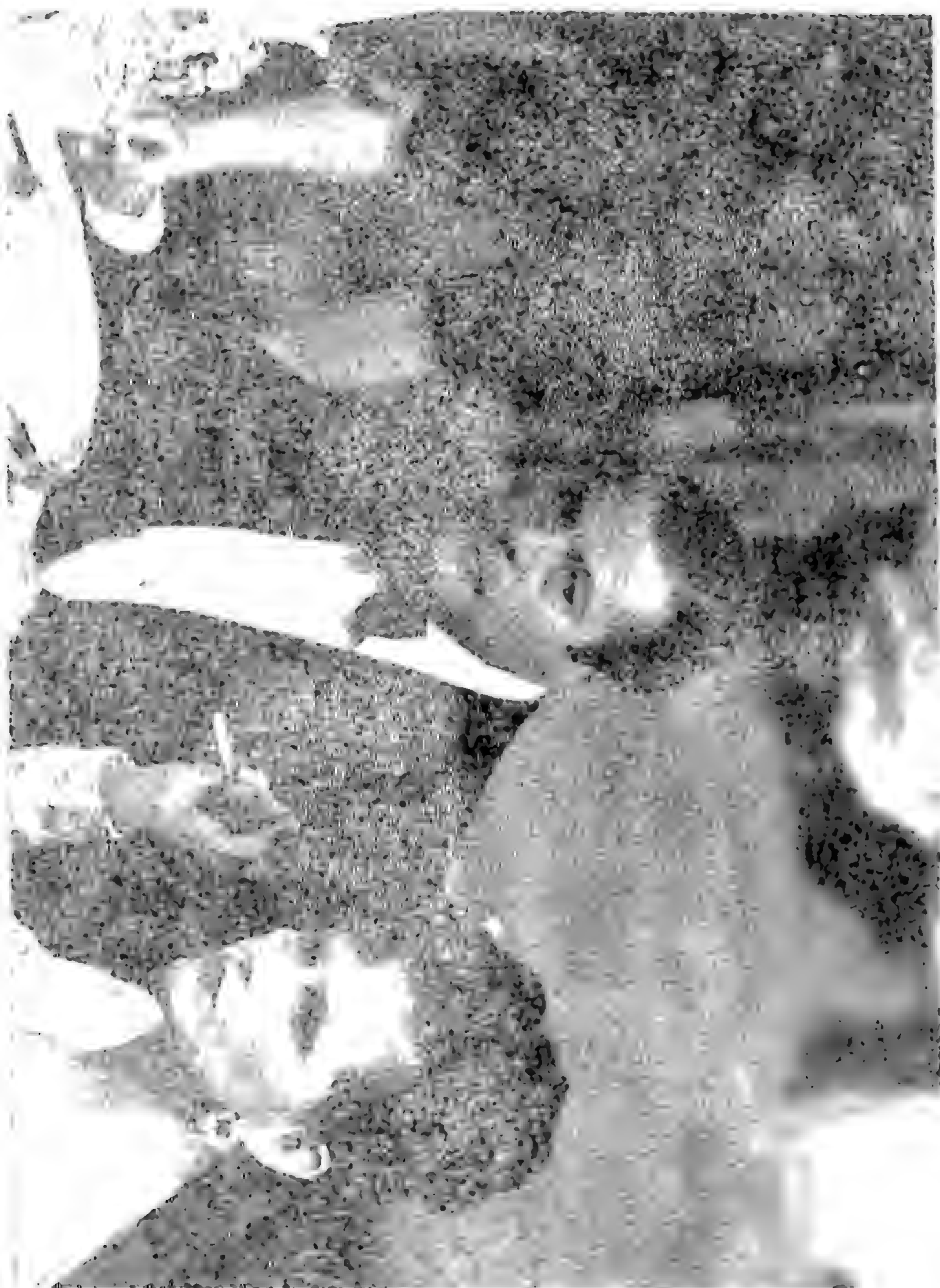
وفى عام ١٩٦٨ أخرجت ليليانا كافانى فيلمها الروائى الطويل الأول للسينما ، وهو فيلم «جاليليو» ثم «أكلو لحوم البشر» عام ١٩٦٩ ، الذى عرض فى الدورة الأولى لبرنامج «نصف شهر المخرجين» فى مهرجان كان ذلك العام ، و «التقيض» عام ١٩٧١ ، و «بواب الليل» و «ميلاريب» عام ١٩٧٣ ، وقد عرض الثانى فى مسابقة مهرجان كان عام ١٩٧٤ و «ما وراء الخير والشر» عام ١٩٧٧ ، ثم «جلد الإنسان» عام ١٩٨٠ ، وتشكل أفلام ليليانا كافانى عالماً خاصاً تحاول فيه استجلاء

تاريخ أوروبا دون الخضوع للمقولات السائدة حول هذا التاريخ من أيام المسيح إلى أيام هتلر.

واختيار كافاني لرواية «جلد الإنسان» للكاتب الإيطالي كورزيو مالابارته (١٨٩٨ - ١٩٥٧) التي تدور أحداثها في نابولي بعد الحرب الثانية مباشرة، يؤكد نزعتها إلى استجلاء التاريخ دون الخضوع للمقولات السائدة؛ ففي أغلب الروايات والأفلام التي تتناول فترة سقوط الفاشية ونهاية الحرب العالمية الثانية يبدو الصراع بين الحلفاء ودول المحور، أو بين قوات الاحتلال وقوات المقاومة، صراعاً مجرداً بين الخير والشر، أو بين الأبيض والأسود، ويفتقد الظلال والألوان، أو بالأحرى التناقضات التي تعكس الأبعاد الحقيقية لأي صراع في التاريخ.

أما في رواية «الجلد»، وفي كل أعمال مالابارته، فإننا نجد الكثير من الأبعاد الحقيقية للصراع الذي دار في النصف الأول في الأربعينيات، و «جلد الإنسان» هي إحدى روايتين عُرفَ بهما مالابارته بعد الحرب، والرواية الأخرى هي «الانهيار التام» التي ترجمها إلى العربية فريد كامل في أواخر الستينيات، ومن كتبه المعروفة أيضاً «نهر الفولجا ينبع في أوروبا»، و «أهل توسكانيا الملاعين»، ومسرحية «النساء أيضاً خسرن الحرب»، وسيناريو فيلم «المسيح ممتوع».

ولد مالابارته لأب ألماني وأم بولندية، وانضم للحزب الفاشي



الإيطالي وهو دون الثلاثين، وصار رئيسًا لتحرير جريدة الحزب الرسمية «لاستامبا»، ولكنه سرعان ما أصبح معاديًا للفاشية، فطرد من إيطاليا، وبعد فترة عفا عنه موسوليني وألحقه بالسلك الدبلوماسي.

وفي عام ١٩٣٨ أصدر كتابًا بعنوان «تكنيك الثورة»، فأمر هتلر بإعدامه، وأثناء الحرب عمل مالابارته مراسلًا صحفيًا من الجبهة، وكتب مقالات اعتبرها موسوليني خيانة عظمى؛ فنفى من إيطاليا مرة ثانية، ولم ينقذه من الموت غير علاقته بابنة موسوليني إيدا شيانو.

وبعد موت موسوليني عاد مالابارته إلى إيطاليا سرًا، فقبض عليه، ولكنه تمكن من الهرب، وأصبح قائدًا لإحدى فرق جيش التحرير الإيطالي الذي حارب مع الجيش الأمريكي.

وقد هوجم أدب مالابارته بعنف داخل إيطاليا وخارجها، ومن مختلف الاتجاهات السياسية، ولكنه بالطبع وجد من يدافع عنه في نفس الوقت. يقول مالابارته «إنهم يكرهون كلماتي لأنها لا تصف الانهيار التام الكامل الذي أصاب أوروبا فحسب، بل الذي أصاب النفس البشرية ذاتها والقيم الإنسانية في العالم كله».

ولكن أهمية كتابات مالابارته، والسبب الذي جعلها موضع الهجوم من مختلف الاتجاهات أكثر من أي سبب آخر هو أنه يرى أن أوروبا تحررت من الاستعمار النازي، وسقطت تحت الاستعمار الأمريكي؛ لقد رأى ذلك حتى في الوقت الذي كان فيه الجميع يتطلع إلى أمريكا كقائدة للحرية والديموقراطية في العالم بعد الحرب، يقول

مالابارته «إن الذين ماتوا ليحرروا أوروبا قد ماتوا بلا فائدة؛ لأن أوروبا لم تتحرر بعد».

وهذه الرؤية للعالم، ولصير أوروبا بعد الحرب نجدها أيضًا في فيلم ليليانا كافاني.

إن فيلم «جلد الإنسان» من الأفلام التي يمكن أن تُقرأ على عدة مستويات؛ فهو فيلم أوروبي عن المواجهة بين أوروبا وأمريكا، وهو فيلم سياسى عن الصراع بين الذين لا يملكون شيئًا والذين يملكون كل شيء، وهو فيلم إنسانى عن «الانهيار التام الذى أصاب النفس البشرية» على حد تعبير مالابارته، ويمكن أيضًا اعتباره فيلمًا عن نهاية العالم.

لقد كانت نابولى قبل الزلزال إحدى ثلاث مدن تمثل الحضارة الأوروبية فى القرن الثامن عشر مع باريس وفيينا، كما كانت نابولى أول مدينة أوروبية تتحرر من الفاشية، لتواجه غزوًا من نوع آخر بقيادة الجيش الخامس الأمريكى الذى أراد قائده الجنرال كلارك أن يسلك إلى روما نفس الطريق الذى سلكه قيصر تعبيرا عن المواجهة بين الحضارة الأوروبية القديمة وحضارة الأنجلو ساكسون الجديدة، تقول ليليانا كافانى: «الفيلم ليس عن الحرب، كانت الحرب قد انتهت فى نابولى عام ١٩٤٣، ولكنه لم يكن السلام أيضًا».

وتقول ليليانا كافانى إن الفيلم يؤكد أن «هؤلاء الذين لا يملكون شيئًا لا يستطيعون إلا أن يقدموا أجسادهم إلى الذين يملكون كل شيء»، وتقول «علينا أن نتذكر أنه قبل سنوات قليلة من أحداث الفيلم، وفى

ظل ظروف معيشية جيدة، كان أساتذة الجامعة والمثقفون يبيعون أنفسهم أيضًا إلى السلطات الفاشية لكي يحصلوا على منصب أو عمل».

وعنوان «الجلد» أو «جلد الإنسان» - كما ترجمه فريد كامل - يعكس السبب الإنساني العام للفيلم... يقول مالابارتس «وطننا هو جلدنا»، وتقول ليليانا كافاني «كل الجلد - جلد البشر، وجلد الكلاب - هو خريطة العالم الجغرافية»، وتقول «الفيلم لا يتحدث فقط عن آلاف الطرق التي يمكن أن ينجو منها الإنسان بجلده؛ الجلد هو اللحم، وهو مشترك بين العسكريين والمدنيين، الرجال والنساء، الأطفال والعجائز والجبنةاء، وفي نفس الوقت الشجعان»، وحقيقة أن غزاة نابولي الجدد كانوا من بلاد كثيرة (أمريكا وإنجلترا وفرنسا والمغرب والهند... إلى آخره)، وأن كلاً منهم يتحدث في الفيلم بلغته الأصلية، تجعل نابولي وكأنها «برج بابل» أو «مصغر الكون».

تكتب عناوين فيلم «جلد الإنسان» الذي كتبته المخرجة مع المؤرخ الأمريكي روبرت كانز على لقطات لوحداث من الجيش الأمريكي الخامس تدخل نابولي وأخرى تصور قائد الجيش الجنرال كلارك يرافق قواته، ويتطلع إلى المدينة من طائرته، ومع الجنرال في الطائرة نرى ضابطاً إيطالياً يمثل شخصية مالابارتس نفسه، وهو الذي يربط بين أحداث الفيلم، ويلخص المشهد الأول من الفيلم المواجهة بين الحضارة المتداعية والحضارة البازغة على تناقضها؛ فنحن نرى بعض الجنود الأمريكيين يقتربون من ساحة كبيرة بها مقهى فاخر، وأمام المقهى فرقة موسيقية تعزف «فالساً» كلاسيكياً، ويتصور الأمريكيون أن



هذه الفرقة الموسيقية ما هي إلا خدعة عسكرية؛ فينتشرون ويستعدون للقتال، ولكنهم سرعان ما يدركون أنها فرقة حقيقية تعزف ابتهاجًا بعودة السلام.

ويعقد الجنرال كلارك مؤتمرًا صحفيًا في قصر كونتيسة إيطالية على صلة بالضابط الإيطالي، واختيار هذا القصر يؤكد أيضًا معنى المواجهة بين الحضارتين، وفي شوارع نابولي، من خلال الضابط وعشيقته الكونتيسة نرى كل شيء معروضًا للبيع، وبأقل الأثمان، وأول هذه الأشياء الإنسان نفسه، والموتى يتساقطون بالجملة، والتوابيت توضع في عربات النقل مع البطاطس.

وفي منزل يذكرنا بمنزل مشابه في «ساتيركون - فيليني» ويعبر عن العمارة الإيطالية القديمة، نرى طوابير الجنود الأمريكيين أمام غرف العاهرات، كل منهم ينتظر دوره، وبينما ينشغل الجنرال كلارك بمشكلة ٢٧٣ أسيرًا ألمانيًا يحتجزهم الإيطاليون، ويصرون على بيعهم بالكيلو، يبدو الضابط الإيطالي مهمومًا بما يحدث في بلاده، إنه يتطلع إلى النساء في الشوارع وهن مفتوحات الأرجل قائلا «هذه هي إيطاليا».

وفيلمنا هو «ساتيركون» معاصر؛ إذ يتشابه البناء الفني للفيلم مع البناء الفني لفيلم فيليني، كما يتشابه البناء الفني لكتاب مالابارته مع البناء الفني للأصل الأدبي الرومانى القديم الذى استمد منه فيليني فيلمه، ورغم تأثر ليليانا كافانى فى بعض مشاهد فيلمها بفيلم الأستاذ الإيطالى الكبير، إلا أنها تملك أسلوبها الخاص المميز بنظرتها التى تختلف عن نظرة فيليني.

فمشاهد فيلم «جلد الإنسان» مشاهد مستقلة يعبر كل منها عن حدث معين دون أن يرتبط عضوياً بالمشهد الذى يليه.

وإذا كانت شخصية الضابط الإيطالى تجمع بين هذه المشاهد من حيث السرد؛ فإن ما يجمع بينها درامياً إنما هو موضوع السقوط الإنسانى، ووجهة نظر المخرجة التى تشعر بالارتياح من هذا السقوط، وتصوره لكى تؤكد عليه، وترفضه وتدعو المتفرج إلى نفس الموقف.

وكما يهبط الجنرال كلارك على نابولى من الطائرة، كذلك تأتى مسز وايت من واشنطن لكى تستعرض مهارتها فى الطيران، وتتوازى حركة مسز وايت فى نابولى مع الضابط الإيطالى، مع حركة ضابط أمريكى شاب يدعى جيمى، هو رمز للطهارة والنقاء فى عالم فقد براءته، يتعلق بفتاة إيطالية هى ماريا بعد أن أنقذ أخاها الصغير من الموت فى أحد حقول الألغام التى زرعتها القوات المتحاربة.

وتتناثر الأشلاء البشرية فى الفيلم: يتناثر الجلد فى كل مكان؛ فعلى باب إحدى المستشفيات العسكرية نرى بقايا الجنود، وعندما ينزل الأمريكيون إلى الأسواق يشترون كل الفاكهة وكل الخضروات، ينفجر لغم فى أحدهم، فتخرج أحشاؤه كاملة، ويؤدى مارشيليو ماسترويانى الذى يقوم بدور الضابط الإيطالى مشهداً عبثياً عندما يريد أن يرفه عن الجندى الشاب وهو يموت، فيقلد طريقة موسوليني فى الخطابة وهو يتمزق من الداخل بدوره.

وفى قصر الكونتيسة، وبمناسبة الاحتفال بمسز وايت، تقدم

ليليانا كافانى مشهدًا فيلينيًا رائعًا فى قاعة الطعام الفاخرة؛ فالكل فى أبهى حلة يستعدون للعشاء، وتأتى السمكة الضخمة مغطاة، ويرفع عنها الجسورال كلارك الغطاء المعدنى فإذا هى حورية البحر نابوليتانية الشهيرة التى تشبه جثة طفل ميت، ويتم الانتقال من هذا المشهد إلى الشارع مرة أخرى حيث نرى أحد الشباب يحاول قتل امرأة بعد أن فوجئ بأنها تبيع نفسها فى الشارع.

وإذا كانت وجهة نظر مالابارتسه تنعكس من خلال الضابط الإيطالى الذى يمثله؛ فإن وجهة نظر ليليانا كافانى تنعكس من خلال مسز وايت؛ فمخرجتنا امرأة أيضًا، وهى تعبر بالضرورة، ونتيجة الأصالة من وجهة نظر امرأة، رغم أن موضوعاتها ليست الموضوعات المعتادة فيما يسمى السينما النسائية.

لقد كان برنارد شو يسخر من المرأة قائلاً إن الرجل يتطلع إلى السماء فتشده المرأة إلى الأرض، ولكن - وعلى العكس تمامًا - نجد مسز وايت فى «جلد الإنسان» تتطلع إلى السماء بالمعنى المادى للعبارة وهى تقود الطائرات، بينما يشدها الضابط الإيطالى إلى الأرض، وليس معنى هذا أن مسز وايت هى مثال الشخصية الكاملة؛ فالمسألة ليست دفاعًا وهجومًا؛ فهى أيضًا تعمل من أجل مجدها الخاص، وتريد أن تشبع غورها.

فبعد أن ترفض مسز وايت إغراءات الضابط الإيطالى وترده عنها قائلة إنها سيدة متزوجة، تأخذه فى الطائرة معها، وتدور به حتى

تكاد تنقطع أنفاسه، وعندما ينزلان يصحبها معه فى الشوارع، فترى الأمهات وهن يعرضن أطفالهن الصغار للدعارة أيضاً، وبعض جنود الفرقة الغربية وهم يتحسسون الأطفال على نحو شديد البشاعة، ورب قائل إن هذا المشهد ضد العرب، ولكنه يكون ضد العرب بذات ما يكون الفيلم كله ضد الإنسان.

ومرة ثانية تقدم ليليانا كافانى مشهداً فيلينيئياً، وهو مشهد الشاذ الذى يلد مولوداً من الخشب، والرجال يلتفون حوله يدقون الطبول ويصرخون، ويدفع الضابط الإيطالى مسز وايت لمشاهدة هذا المنظر الذى يدور فى منزل محطة بالقرب من الشاطئ إمعاناً فى محاصرتها بالواقع المرير، ولكنها مرة أخرى تهرب، وتتعلق فى السماء.

ولا يملك الضابط الأمريكى الشاب جيمى إلا أن يعاشر العاهرات بدوره، ولكنه يبحث عن ماريّا «العذراء الأخيرة فى نابولى» حتى يجدها فى مشهد آخر يصل الفيلام فيه إلى ذروة جديدة؛ فعلى باب منزلها يجسد جيمى والد ماريّا وهو يطرحها فى المزاد بين الجنود الأمريكيين، ويرى طابوراً طويلاً من الجنود فى انتظار من يفض بكارتها، لكى يأخذ كل منهم دوره منها، وبالطبع يثور جيمى ويفقد وعيه، فيندفع نحو الفتاة النائمة على فراشها مفتوحة الساقين، ويدفع أصبعه داخلها وهو فى حالة من الهستيريا العنيفة، ثم يلطخ وجه والدها بالدم، وهو يصرخ فيه.

ولكى يكتمل التعبير عن فكرة خريطة العالم الجغرافية المكونة

من جلد الإنسان وجلد الكلاب، تصور ليليانا كافانى مشهداً للكلاب التى تُجرى عليها التجارب فى إحدى المستشفيات، ومسز وايت تتطلع إليها مع الضابط الإيطالى، وفى حفلة عشاء فاخرة أخرى يقول الضابط «العالم الإيطالى هو الرجل والجنس والأخلاق والعائلة والكنيسة»، وفى نفس اللحظة يأتى أحد الخدم ويقول لصاحب القصر: سيدى الأمير زحام على الباب، ويندفع الشعب الجائع داخل القصر ليزيح كل ما فوق المائدة، ويضع جثة فتاة ميتة، ويبدأ الجميع فى إجراءات إعداد الفتاة للدفن.

وفى حوار بين الضابط ومسز وايت يقول لها اعترفى بإيطاليا هى التى اخترعت الاعتراف؛ فتعترف أنها تعيش فى أكاذيب، وأنها تعمل لخدمة نفسها فقط، ولكنها تنهى اعترافها بأن توجه له سيلا من الشتائم البذيئة وغير البذيئة هى أطول وأقبح شتائم وجهت من امرأة إلى رجل أو على وجه التحديد من امرأة إيطالية إلى رجل إيطالى، وتعبّر عن وجهة نظر ليليانا كافانى بمنتهى الدقة.

ومع نهاية هذه الشتائم الطويلة تبدأ العاصفة التى تسبق الزلزال الذى يصنع نهاية الفيلم، ومرة أخرى، مثل السمكة النابوليتانية، نجد الزلزال هنا مستمد من واقع الأرض البركانية لمدينة نابولى، وإن كان لا يأتى فى إطار واقعى، وإنما يعبر عن فكرة نهاية العالم، وثورة الطبيعة ضد البشر؛ فتتهدم البيوت، وتخرج العاهرات عرايا فى الشوارع، فى الوقت الذى يبحث فيه جيمى عن ماريّا، وتخرج الكونتيسة من قصرها، وتقدم نفسها لأول مراهق فى أول بيت يصادفها.



وتحاول مسز وايت الهرب بطائرتها، ولكن الطائرة تسقط،
وتتعرض هى للاغتصاب الجماعى بطريقة وحشية حتى تفقد النطق
وتصاب بانهيار عصبى، ومن بين كل هذا الحطام البشرى، تستجمع
ليليانا كافانى كل طاقات الأمل عندما يلتقى جيمى وماريا ويذهبان إلى
الكنيسة فى محاولة لبدء حياة جديدة، وكما يبدأ الفيلم بجنود الجيش
الخامس الأمريكى يفتنى بهم أيضاً، ولكن فى الطريق إلى روما.

وأثناء مسيرة الجيش، يخرج الإيطاليون يرحبون بقوات
التحرير، ومن بين الناس نالنج رجلاً بائساً يحمل ابنه على كتفيه
ويهتف «فيفا أمريكا... فيفا لا أمريكانا» وفجأة تصرعه إحدى
الدبابات... وبينما يخرج ابنه سليماً من تحت الدبابة، نراه وقد تحول
إلى خليط من الدم والعظم واللحم، وتكون أوامر الجنرال «امنعوا
التصوير ولتمض المسيرة»، وتمضى المسيرة بالفعل، ولكن هذه المرة من
دون الضابط الإيطالى.

سمير فريد

المؤلف والكتاب

هذه الرواية يوميات مدينة أفسدت الحرب حياتها... مدينة كانت تتقاتل فى بسالة؛ فلما دخلها المنتصرون أذلوا شعبها بالجوع والمرض والحطة، فتردت المدينة فى هاوية الدعارة والتسول...

والمدينة هى نابولى، أول مدينة إيطالية دخلتها جيوش الحلفاء فى سبتمبر عام ١٩٤٣، جيوش جائعة للشهوة والمتعة، وهى تبحث عن متعتها فى كل مكان، وتجعل من كل شبر تنزل فيه مأخورة...

وهوؤلف هذه الرواية هو كورزيو مالابارته الكاتب الإيطالى الشهير، ولد سنة ١٨٩٨، ومات هذا العام، وقبل أن يموت كتب إلى الباب يطلب مغفرته على كتابة هذه الرواية الصريحة التى كتبها على صورة فصول مستقلة، تصور حياة مدينته التعسة بعد الحرب، ولكن هذه الفصول جميعها تتكامل فى بناء روائى يترك فى النفس إحساساً عميقاً بكراهية الحرب... الهزيمة فيها والانتصار...

ومالابارته عرف الحرب معرفة وثيقة، فحين شبت الحرب العالمية الثانية كان يعمل مراسلاً لإحدى الصحف فى الجبهة الروسية؛ فلما استسلمت إيطاليا واعتقل موسوليني عاد مالابارته إلى وطنه كضابط اتصال بين حكومة بادوليو وبين قوات الحلفاء التى دخلت إيطاليا لتحررها بقيادة الجنرال كلارك الأمريكى..

ومن انطباعات هذه الأيام التي صحب فيها الكاتب جيوش
الحلفاء كتب روايته هذه.. الجلد..

صلاح عبد الصبور

[REDACTED]

الجلد

صلاح عبدالصبور

كنت الضابط الإيطالي المرافق لجيش التحرير التابع للحلفاء في نابولي بعد أن استسلمت إيطاليا.. وكنت أجوب المدينة يوماً مع صديقي الكولونيل الأمريكي جاك هاملتون، وكان منظرنا بملابسنا النظيفة ووجوهنا التي يبدو عليها أثر الشبح يبدو غريباً بين الأنقاض والجوع وبين أهالي نابولي الممزقي الملابس الذين تنهال على رؤوسهم الشتائم بجميع اللغات واللهجات الممثلة في جيش التحرير..

ورغم الأحوال السيئة التي كان يعيش في ظلها أهل نابولي، إلا أن أحداً منهم لم يكن يبدو عليه شعور المهزوم في حرب، فبعد سنوات من الحرب وبعد الاستسلام وبعد دخول جيوش الحلفاء، وبعد هذا المرض الذي يأتي في أعقاب الحرب، مرض الطاعون، كان أهل نابولي لا يحسون أنهم قد خسروا الحرب، وكان هناك مئات من الإيطاليين الذين جندوا مرة ثانية ليحاربوا في صفوف الحلفاء بعد أن حاربوا إلى جانب الألمان، وكانوا يلبسون ملابس خاكية بريطانية، يغلب على ظني أنها كانت لجنود قد ماتوا في ميدان القتال.. كان بعضها ملطخاً بالدم وبعضها تفوح منه رائحة العرق..

أما أنا فقد كنت ألبس حلة ضابط بريطاني فيها ثلاثة خروق من أثر الرصاص.. ربما حاربت هذه الحلة في العلمين أو على تلال طبرق.. وقد ذهبت بهذه الحلة لرؤية مواطني من الجنود الذين لبسوا الخاكي للمرة الثانية، وصاح فيهم الجاويش حين وصلت:
انتباه..

ووقف الجنود صفا واحدا منتظماً، ثم نظروا إليّ في عاطفة

حارة.. كنت أنا الضابط الوحيد من أهل وطنهم الذى رأوه، وتحدثت إليهم قائلاً:

«إننا ندافع عن الحرية، نحن جنود إيطاليا الجديدة، وإن من واجبنا أن نحارب الألمان ونطردهم من بلادنا. إن عيون الإيطاليين فى جميع أنحاء إيطاليا تتطلع إليكم لأن عليكم أن ترفعوا هذا العلم الذى مرغ فى التراب»..

وخرجت إلى الشارع حيث وجدت صديقى الأمريكى ينتظرنى، وانطلقنا لنكمل جولتنا فى المدينة. كانت هناك جماعات من النساء العاريات المتزيينات يتبعن جماعات من الجنود السود الأمريكيين، وكانت النساء يصحن فى الجنود الزوج: هاللو.. هاللو ياجوا.. وعلى الرصيف كان يجلس بعض النساء على مقاعد أمام المنازل، وكان البعض الآخر يطل من شبابيك المنازل كأنهن ينظرن من مقصورات مسرح ريفى، والجميع ينظرون إلى الجنود الزوج، وتتبع نظراتهن جماجمهن المستديرة الصغيرة وأحذيتهن وسيقاهن اللامعة كالتمثيل السوداء..

وأمام صناديق خشبية صغيرة كانت تجلس جماعات من الصبيان، ويدقون بفرشاتهم على الصناديق ويصيحون: «مسح أحذية».. «مسح أحذية»، ويمدون أحيانا أيديهم إلى ذيل بنطلونات الزوج ثم ينظرون إليهم فى رجاء، وعلى مفارق الطرق كان يقف بعض النساء العجائز يبعن بضاعتهم الغريبة، صبيان وبنات بين الثامنة والعاشرة، فهذا يوافق مزاج الجنود المراكشيين والهنود والمدغشقرين،

وكان الجنود يتحسسون الصبيان والبنيات، ثم يمدون أيديهم بين زراير
بمفطلونات الصبيان أو يرفعون رداء البنات الصغيرات بأصابعهم،
والنساء يقلن في صوت هامس للجنود:

الولد بدولارين، والبنت بثلاثة..

ووجدت في نفسي رغبة عارمة لكى أسأل صديقى الأمريكى
الكولونيل جاك هاملتون:

أخبرنى بصراحة.. هل تريد بنتا صغيرة بثلاثة دولارات؟..

وصاح هاملتون:

اسكت يامالبارته.. إن ثلاثة دولارات ليست مبلغا كبيرا
بالنسبة لبنت صغيرة.. إن رطلين من اللحم يساويان أكثر من هذا،
وإنى لوأثق أن البنت الصغيرة تزن أكثر من هذا من اللحم، كما أنى
وأتق أن سعرها فى نيويورك أو لندن أكثر من هذا بكثير..

اسكت يامالبارته..

إن بنتا صغيرة بين الثامنة والعاشرة تزن خمسة أرطال، وثمان
رطل اللحم فى السوق السوداء دولار وعشرة سنتات، فثمان البنات إذن
يجب أن يكون خمسة دولارات وخمسين سنتا، وفى هذه المرة صاح
هاملتون بصوت ملؤه الغيظ:

قلت لك اسكت!.. اسكت أرجوك.. والواقع أنه لم تكن بى رغبة

لإغاطة صديقي الأمريكي.. فهو ليس مسئولاً عن الحرب، كما أنه من أحسن الأمريكيين الذين رأيتهم، كان يكاد يكون أوروبياً، ويتكلم الفرنسية بطلاقة، ويحفظ بودلير، ويؤمن بالمحبة المسيحية، ولكن رؤية مواطني أهل نابولي الجميلة بهذه الحال أفقدني رشدي..

وفى خلال الأيام القليلة التي مرت بعد التحرير كانت أسعار الرجال والنساء والأولاد تنخفض بانتظام، بينما ترتفع أسعار الدقيق والسكر والزبد؛ فمِنذ أسبوع كانت الفتاة بين العشرين والخامسة والعشرين تعرض فى السوق بعشرة دولارات، أما الآن فقد أصبحت بأربعة فقط، وربما كان انخفاض سعر اللحم البشري فى نابولي راجعاً لقانون العرض والطلب.. فقد تدفقت من جميع أنحاء جنوب إيطاليا خلال الأسبوع مئات من الفتيات، كما عرض فى السوق كمية كبيرة من لحوم صقلية البشرية.. وفى كل يوم كان يتدفق على الحمير، وعلى عربات الجيب التابعة للحلفاء أطنان أخرى من اللحم البشري.. فتيات قويات فلاحات أغراهن سراب الذهب فى نابولي، وهكذا انخفض سعر الإنسان فى نابولي، وكاد يخشى من هذه المنافسة على اقتصاد المدينة..

ومن ناحية أخرى ارتفع سعر اللحم الأسود.. لحم الجنود الزنوج حتى أصبح أغلى من اللحم الأبيض، لقد أصبح ثمن الرجل الأسود أغلى من الأمريكية البيضاء، لقد أصبح الزنجرى ثروة، وارتفع سعره من مائتى دولار إلى ألف، وكان هذا السعر يرتفع بنفس السرعة التى يهوى بها سعر المرأة البيضاء، وأصبح حلم الرجل الفقير فى نابولي أن يستأجر رجلاً أسود ولو لساعات قصيرة..

كان الرجل فى نابولى يتعرف على الزنجى ثم يأخذه ليدور به من حانة إلى حانة ومن ماخورة إلى ماخورة، وقد يقابله فى الطريق كثيرون من جيرانه ويقولون له:

«هل تبيع هذا الزنجى!.. عشرين دولارًا فوراً.. ثلاثين..

خمسين»..

وفى ساعات كان هذا الزنجى يشرب حتى يفقد وعيه، ثم تُخلع ملابسه وتُنزع ساعته ونقوده، ثم يترك عارياً فى الطريق، وإذا وافق الرجل على بيع الزنجى فما عليه إلا أن ينزع يده من يد الزنجى، ثم يضعها فى يد المشتري الجديد، ويختفى فى زحام الطريق، كل هذا والزنجى يبتسم فى وقار المنتصر، ويدق بحدائه الأسود اللامع على الأرض الصلبة دون أن يدري أنه قد أصبح عملة فى سوق نابولى الواسعة.

أما الحكماء من أهل نابولى فلا يبيعون الزنوج أبداً، بل يأخذ الرجل منهم الزنجى إلى بيته، ويعامله كضيف مكرم، ويتركه ليرقص مع بناته وزوجته على ألحان جراموفون قديم، ثم يسمح له أن ينام مع كل أفراد العائلة من الزوجة حتى الأطفال، ويعود الزنجى إلى منزله الجديد كل مساء ومعه هدايا من السكر والسجاير والأحذية والملابس وملاءات السرير والمعاطف والدقيق والزبد واللحم المملح والجوارب والحلوى، ويتأثر الزنجى بالجو العائلى الذى يسبغ عليه بالسهر فى المساء ومائدة العشاء المعدة والنبىذ وابتسامات النساء والأطفال، ويصبح الزنجى بعد أيام عبداً للأسرة النابولية الجديدة دون أن يدري..

ومن الطبيعى أن يصبح الزنجى الذى يقود سيارة نقل تابعة
لحلفاء أغلى الجنود سعرا؛ فقد جلب بعض الجنود لعائلاتهم سيارة
كاملة محملة بالبضائع والهدايا، بل إن بعضهم قد ترك السيارة نفسها
عند أسرته الجديدة، وبعد ساعات تختفى السيارة نفسها وتصبح قطعة
صغيرة..

ولازلت أذكر أن إحدى سفن التى تتبع جيوش التحرير وصلت
ذات مساء إلى ميناء نابولى، وبعد ساعات لم تكن الحمولة فقط هى التى
تسربت إلى أزقة نابولى، بل لقد اختفت السفينة نفسها ولم يسمع عنها
أحد شيئا، وظلت أزقة نابولى تضحك على هذا الحادث أياما ثم نسيته.

وزاد انتشار الطاعون، هذا المرض الذى يأتى دائما فى أذيال
الحرب، وكان الدواء الوحيد الذى اهتمت إليه السلطات البريطانية
والأمريكية هو أن تمنع القوات المتحالفة من دخول الأماكن الموبوءة فى
المدينة.. فكننت تجد على الحيطان «ممنوع الدخول»، وتحتها رسم
لعظمتين متقاطعتين فى شكل صليب وبينهما جمجمة..

وبعد قليل من الوقت أصبحت نابولى كلها مرسومة بهذا الرسم
ومكتوبا عليها «ممنوع الدخول»، ولما كان من طبيعة الناس جميعا،
والجنود أيضا أن يحبوا كل ما هو ممنوع، ولما كان الناس لا يعرفون
مصدر العدوى.. هل هو أهل نابولى، أم جنود جيش التحرير أنفسهم؛
فإن أحدا من الجنود لم يلق بالآ لهذه التحذيرات.. وظل اختلاط الجنود
الظرفاء بأهل نابولى على أشده. وكانت نوبة جنونية من السكر والرقص

واللعب والضحك والأكل تنقأب جيوش الحلفاء وأهل نابولي وخاصة
النساء كل ليلة..

سألنى صديقى الضابط الأمريكى ذات مساء ونحن خارجان من
أحد المخابز نلتهم بعض الحلوى:

هل رأيت عذراء قط؟..

نعم، ولكن عن بعد..

هل رأيت عذراء عارية عن قرب؟..

لا..

وصاح بى.. إذن اتبعنى يا مالا بارتة..

كنت لا أريد أن أصحبه، فقد كنت واثقا من أنه سيرينى شيئا
مخجلا منحطا، وأنا لا أريد أن أرى الانحطاط، ولا أسر برؤية الناس
وهم ينحدرون إلى أسفل، وأخشى ما أخشاه فى هذه اللحظات أن يلتفت
أحد هؤلاء المنحطين إلى، ثم يبتسم فى سخرية:

لقد كنت أفضل الحرب على الاستسلام ثم الطاعون.

فقبل التحرير كنا نقاتل لكى لا نموت، أما الآن فنحن نقاتل
لكى نعيش، وهناك فرق عميق بين أن تقاقل لتتفادى الموت وأن تقاقل
لتعيش؛ فالذين يقاتلون لكى لا يموتون يحتفظون بكرامتهم ولا يجثون
على ركبتهم وهم يهربون فى الجبال والغابات، ويعيشون فى الكهوف
ويحاربون الغزاة فى ضرواة الذئاب حربا شرفية وكريمة.. والنساء لا

يلقيين بأجسامهن فى السوق السوداء مقابل أحمر الشفاه والجوارب
الحريرية والسجاير والخبز، بل يعانون الجوع وقساوته فى صبر
وتماسك.. لقد كان أهل أوروبا قبل دخول جيوش الحلفاء من
الأمريكيين والإنجليز يحاربون فى شرف لكى لا يموتون، ولكى
يحتفظوا بروحهم سليمة..

ولكنهم بعد التحرير يحاربون لكى يعيشوا.. ولكى يحتفظوا
بأجسامهم لا بأرواحهم.. لكى يحتفظ كل منهم بجلده وعظمه ولحمه
فقط؛ إنها لم تعد حربا ضد الطغيان ولا حربا فى سبيل الحرية
أو الكرامة الإنسانية أو الشرف.. بل هى حرب خسيصة فى سبيل لقمة
خبز أو خرقة من الملابس الممزقة أو حزمة من النقش ليناموا عليها،
ولكى يعيش الإنسان فهو لا يتحرج عن شىء، قد يسرق ويغش ويدلس
ويقود زوجته، وقد يجثو على ركبتيه ويلعق حذاء كل من يملك لقمة
خبز أو قطعة سكر.. كانت هذه الخواطر تدور بذهنى وأنا وصديقى
الأمريكى زاهبان لرؤية العذراء، وكان على الباب حفنة من جنود
الحلفاء بعضهم أمريكى وبعضهم إنجليزى أو بولندى، ووقفنا فى
الصف فى انتظار دورنا..

وبعد انتظار نصف ساعة وجدنا أنفسنا على باب الغرفة، وكان
الباب محجوبا عن أنظارنا بستارة من قماش ثقيل، وأمام الستار وقفت
امراة كهلة تلبس السوداء، وكانت نحيلة شاحبة الوجه، وكانت يداها
اللتان تمتلئان بأوراق النقد معقودتين على صدرها:

دولار لكل منكما..

ودفعنا لها دولارين ودخلنا، وكانت الحجرة رثة الأثاث ذات باب آخر صغير فى أحد أركانها.. وكانت جدران الغرفة مغطاة بأفيشات السينما وإعلانات أوبرا توسكا وعائدة وصور لنساء ورجال وأطفال، وفى ركن الغرفة كان شمعدان كبير على مائدة وبجانبه تمثال صغير للعدراء أو المسيح، أما السرير فقد كان مفروشا بملاءة زرقاء ناصعة اللون، وعلى طرف الملاءة جلست فتاة صغيرة تدخن سيجارة..

كانت تجلس وقد تدلت قدمها على الأرض.. وكانت تدخن فى سكون وقد اعتمدت بوجهها على مرفقيها، وتبدو صغيرة جدا وإن بدت عيونها كعيون العجائز، وكانت ترتدى ثوبا ضيقا مفتوح الصدر..

لم يبد أن الفتاة قد رأتنا فقد ظلت تدخن فى سهوم وهى تتجه ببصرها إلى الباب، وكنا عشرة فى الغرفة وأنا من بينهم الإيطالى الوحيد، وفجأة وصلنا صوت من وراء الستارة يقول «كفى.. اشتغلى»!..

وألقت الفتاة السيجارة من فمها ثم سحقته على الأرض، ومدت يدها إلى ثوبها ثم رفعته.. وبدأت ركبتها أولا ثم فخذاها، وبعد لحظة كانت تستلقى على السرير عارية تماما، وكان وجهها جامدا وفمها نصف مفتوح فى ضيق..

وصاح صوت من ورائنا: «إنها عدراء»، ويمكنكم أن تلمسوا، ولا تخافوا، إنها لا تؤذى أحدا ولا تعض، إنها عدراء.. عدراء حقيقية.

ومد أحد الزوج يده، وضحك بعض الناس ولم تتحرك العدراء،

بل ظلت تنظر إلى الزنجى بعينين مليئتين بالخوف واللعنة، ونظرت
حولى إلى وجوه المشاهدين، وكانت كلها مليئة بالخوف واللعنة..

وهبت الفتاة واقفة ثم لبست ثوبها، وبحركة سريعة من يدها
انتزعت سيجارة من بين شفتى بحار إنجليزى..

وصاح صوت من ورائنا: «لقد انتهى العرض فاخرجوا من
فضلكم»، وخرجنا جميعا من الباب المغطى بالستارة، وكانت خطانا
تتناثر على أرض الحارة مليئة بالخزى والمذلة..

وقلت لصديقى ونحن خارجان:

إن أصحابك يسرهم بلا شك أن تتردى نابولى فى هذه الهوة..

من المؤكد أننى لست مسئولا عن هذا..

ولكن لا بد أنكم مزهوون لأنكم قد قهرتم أمة إلى هذا الحد؛
فبدون هذه المناظر كيف كنتم ستحسون أنكم منتصرون!..

لسنا نحن الذين صنعنا نابولى؛ إن نابولى هكذا دائما..

لا.. ليست نابولى هكذا، لقد صنعت نابولى جديدة من أجلكم،
ولكن أخبرنى يا صديقى.. لو انهزمت أمريكا فى الحرب، ألم يكن من
المحتمل أن تجلس فتاة من نيويورك أو شيكاغو مكان عذراء نابولى
ليتفرج المنتصرون عليها مقابل دولار؟..

وقاطعنى صائحا: كف عن هذا الهراء.. ولم أعن بمقاطعته، بل
استطردت قائلا:

إننى أفضل أن أخسر الحرب، وأن أجلس على مثل هذا السرير
مثل هذه الفتاة المسكينة عن أن أمد يدي لأمتحن بكارتها لمجرد
الإحساس بالنصر والفرحة المجنونة بالسيطرة..

وسألنى الأمريكى قائلا:

ولكنك جئت أيضا فلماذا صحبتنى؟..

وأجبتة:

لأنى جبان، ولأنى أريد أيضا أن أشعر بالمدلة التى يشعر بها
المهزوم..

وقال فى رنة سخرية:

ولماذا إذن لم تجلس أنت أيضا على السرير؟..

وسألته بدورى:

وهل كنت تدفع دولارا لترانى؟..

وأجاب الأمريكى:

لا أدفع سنتا واحدا لكى أراك..

وقلت له :

- ولكنى لو هزمت أمريكا مستعد لأن أدفع أكثر من دولار لكى أرى أحد أحفاد جورج واشنطن وهو يعرى نفسه من ثيابه ، وإنى لأؤكد لك إنى لو جلست على السرير لأتى جميع الجنود حتى الجنرال كلارك نفسه ليرانى ؛ لأن منظر الرجل المنهزم أشد ذلة من منظر المرأة المنهزمة.. إنكم تريدون أن تستمتعوا بانتصاركم.. وأغرق كلانا فى الصمت ، ثم انطلقنا فى الطريق..

كنت حينئذ أفكر فى أمر الاستسلام الذى أذاعه الملك منذ أسابيع قصيرة :

«يا ضباط وجنود الجيش الإيطالى ، ألقوا بأسلحتكم وراياتكم كالأبطال تحت قدمى أول قادم».. وإذا كان هناك مجال للسخرية فى هذا الأمر فهو كلمة «كالأبطال».. الأبطال يلقون سلاحهم لأول قادم سواء أكان من المنتصرين أم المنهزمين. وكنا جميعا نفكر كيف يمكننا أن نلقى أعلامنا فى الوحل ببطولة!..

وكنت أفكر أيضا فى كلمة «الإيطاليين الأوغاد» التى سمعتها كثيرا بالإنجليزية وبالفرنسية.. وكنت أتساءل: كيف يمكن أن تقال هذه الكلمة بالروسية وبالصربية وبالبولندية وبالدانمركية والهولندية والنرويجية والعربية.. بل وبالبرازيلية والصينية والهندية ولغة مدغشقر، بل وحتى بالألمانية؛ لأن الألمان ما يزالون أمة منتصرة ليست كمثل أمتى فى نابولى وأزقتها.. إننا الأمة الوحيدة التى انهزمت حقا..

وفجأة ملأنى السرور لأننا وحدنا، دون أمم العالم.. الأوغاد والفقراء
وأولاد الخنازير كما تقول القوات المتحالفة..

وأخذت أتأمل الطريق الذى نمشيه صامتتين، كل منا يفكر فى
عالمه الخاص.. كانت درجات مدخل أحد المسارح مليئة بالنساء
الجالسات يتحدثن فى صوت مرتفع ويضحكن، كان بعضهن يأكل فاكهة
أو يدخن أو يملأ فمه بالحلو أو اللبان الأمريكانى، والأخريات يستندن
بمرفقهن على ركبتيهن وقد دفنت وجوههن فى أيديهن الشاحبة، وفى
بعض الأحيان كانت إحداهن تنطلق فى أغنية نابولية حزينة ثم يخفت
صوتها كما بدأ..

وكان يمشى خلفنا جماعة من الجنود الزوج فى حلتهم الخاكية
الجديدة وأحذيتهم الصفراء اللامعة.. ثم أخذوا يصعدون سلالم المدخل
فى زهو الزوج، ويمرون بين النساء بقامتهم الطويلة القوية، وسرعان
ما علت الضجة «خمسة دولارات.. خمسة دولارات» واختلط الزوج
بالنساء.. وأخذت أسرع الخطى.. صديقى وأنا لكى نبتعد عن الضجة..

وحين وصلنا أنا وصديقى إلى الطريق الواسع ودعته دون كلام،
لكى أنطلق مرة ثانية فى شوارع نابولى التى ألقى أسلحتها وأعلامها فى
بطولة تحت قدمى أول قادم..

رجعت إلى منزلى بعد تلك الجولة فى شوارع نابولى، وفى
السادسة صباحا وقفت عربة «جيب» على بابى ونزل منها الملازم
الأمريكى كامبل من البوليس الحربى، وأخبرنى أن على أن ألحق

بالكولونيل هاملتون خارج مدينة «كاسينو» ووضعت معطفي على كتفي وأخذت بندقيتي وقفزت في العربة..

كان كامبل صديقي الأمريكي الثاني شابا غامق الشعر، له عينان زرقاوان صافيتان، وكان الحزن هو سمته المميزة كأنه يفكر دائما في أنه لن يعود إلى وطنه، وأن لغما ربما انفجر تحت قدميه في أرض روما أو ميلانو، لذلك كان قليل الكلام، ونادرا ما كان يضحك..

وعبرنا جسر «كابوا» فاستقبلنا القافلة الأولى من الجرحى، وتتابع القوافل؛ فقد كانت المعركة بين جيش التحرير والألمان تدور على مقربة منا، وكانت بعض شظايا المدافع تصل وتتهاوى حولنا، ولكن الملازم كامبل انطلق بالسيارة الجيب على الأرض الصخرية المنحدرة، وفجأة رأينا أمامنا نافورة من التراب والصخر تندفع في الهواء، وسمعنا ضجة انفجار مزعج، وصاح كامبل «هذا لغم»، وبعد أن هدأت النافورة أخذ كامبل يتتبع خطى العربات التي سبقتنا في حرص وحذر، ثم سمعنا أصواتا حادة من خلال أشجار الزيتون، ولمحنا على بعد مائة ياردة جماعة من الرجال وقد تجمعوا حول عربة جيب قد غاصت عجلتها الخلفيتان واخترق مؤخرها شظايا الألغام..

كان الجنود ملتفين حول جندي قد استلقى على ظهره فوق الأرض وهو يئن، وحينما اقتربنا منهم، نظر أحدهم وكان جاويشا إلى بذلتي وإلى وجهي، ثم قال لكامبل وهو يشير نحوي:

ما الذي أتى بهذا الوغد إلى هنا؟..

وأجاب كامبل: «إنه كابتن إيطالي في الجيش الإيطالي الجديد، وهو يرافق القوات المتحالفة».

واتجه الجاويش إلى ثم قال في صوت هادر: «انزل عن العربية واترك مكانك لهذا الجريح»، وقفزت من العربية وأنا أقول: «ماباله؟»، وقال الجاويش: لقد أصابته شظية في بطنه، ولا بد أن ينقل إلى المستشفى حالا..

وقلت للجاويش «دعني أراه» فسألني «وهل أنت طبيب؟»

قلت «لست طبيبا، ولكني رأيت كثيرا من الجرحى»، كان الجريح صبيا فاتح الشعر، وكان وجهه ينطق بالطفولة، أما الجرح الذي في بطنه فقد كان غائرا رهيبا، ومنه كانت تتدلى أحشاؤه.

وقلت: «أعطوني بطانية».

وأحضر لي أحد الجنود بطانية، ففردتها على بطن الجندي الجريح، ثم انتحيت بالجاويش جانبا وأخبرته أن الجريح لا يمكن نقله إلى المستشفى، وأن من الأحسن أن لا يلمسه أحد بل أن يترك في مكانه في حين ينطلق الملازم كامبل ليستدعي طبيبا..

وقلت له: «لقد حاربت في أماكن كثيرة، ولقد رأيت عشرات وعشرات من الجرحى أمثال هذا الجندي، وفي رأيي أن واجبنا الأول هو أن لا ندعه يتعذب، فإذا حملناه إلى المستشفى فسيموت في الطريق

وقد تعذب عذاباً شنيعاً، ومن الأجدى أن نتركه يموت في مكانه دون عذاب، وليس بإمكاننا أن نفعل غير ذلك».

كان الجنود في ذلك الوقت قد تكاثروا حولنا، وكانوا ينظرون إلى ساكنين..

وقال كامبل: «إن الكابتن مالبارته على حق، وسأذهب إلى «كابوا» لأستدعي طبيباً»..

وصاح الجاويش «لأستطيع أن نتركه هنا، إنها لجريمة، وربما أمكنهم مساعدته في المستشفى»..

وتدخلت قائلاً: «سيعاني عذاباً شديداً في حالة نقله إلى المستشفى، وسيموت قبل وصوله فدعوه يرقد حيث هو، ولا يلمسه أحد منكم»، وعندئذ التفت إلى الجاويش ثم صاح: «إنك لست طبيباً».

وأجبتة في هدوء: «لست طبيباً، ولكني رأيت عشرات الحالات مثل هذه الحالة»..

وأنهى كامبل المناقشة حين صاح: «إنى ذاهب لأستدعي الطبيب».. ثم قفز إلى العربة.

وصاح به الجاويش: «انتظر دقيقة يا حضرة الملازم، إنك ضابط أمريكي وواجبك أن تقرر قراراً، ولكنك قد شاهدت كل شيء، فإذا مات هذا الصبي فإنك تعلم أن الخطأ ليس خطأنا، بل خطأ هذا الضابط الإيطالي»..

وسألنى كامبل: «هل أنت على استعداد لتحمل مسئولية عدم نقل هذا الجندي إلى المستشفى؟»..

وأجبتة: «نعم! إنى أتحمّل المسئولية كاملة، فإن هذا الجندي ميت لا محالة، ومن الأوفق أن يموت دون عذاب»..

وانطلق كامبل بالعربة، ومالبت أن اختفى بين أشجار الزيتون، ونظر الجاويش إلى لحظة ثم سألنى: «والآن! ماذا علينا أن نفعل؟»

وقلت له: «إن علينا أن نسلى هذا الصبى المسكين، أن نقص عليه بعض الحكايات، أن لا نترك له مجالا لكى يعرف أنه مجروح جرحا مميتا»..

وسألنى الجاويش فى دهشة: «نقص عليه بعض الحكايات؟»

وقلت: «نعم، نقص عليه بعض الحكايات المضحكة، يجعله مبتهجا، لأنك لو تركت له وقتا للتفكير فى جرحه فسيتعذب»..

وقال الجاويش: «لا أحب التمثيل، ولست مهرجا هزليا.. لسنا إيطاليين أوغادا، فإذا كنت أنت تريد أن تهرج فتقدم، ولكن اعلم أنه إذا مات فستكون مسئولا أمامى»..

وقلت: «لماذا تشتمنى دون سبب، لقد قلت لك إنى مسئول عن عذابه لا عن موته»..

وقال الجاويش: «أجل»، ثم التفت إلى الجنود قائلا: «كلكم شهود، لقد قال هذا الإيطالى القذر»..

وصحت به : «اسكت ! كفى شتائم وقذارات هل جئت إلى أوروبا
لتشتتم الناس أم لتحررها من الألمان»؟

وأغمض قبضته في وجهي وقال : «كان ينبغي أن يموت أحد
الإيطاليين بدلا من هذا الصبي الأمريكي ، لماذا لم تخرجوا بمفردكم
الألمان من بلادكم»؟

وسألته بدوري : «ولماذا لم تظلوا أنتم في بلادكم؟ كان ينبغي
عليكم أن تتركونا نحارب الألمان وحدنا»..

وقال الجاويش : «هون عليك ! إنكم جميعا أيها الأوربيون
أشرار، إن الشيء الوحيد الذي يصلحكم هو أن تموتوا جوعا»..

وانطلق الجميع في الضحك، ونظروا إليّ في هدوء، وقلت
للجاويش : «إنك تراني هنا أخوض معك نفس المعركة، فلماذا
تشتمنى»؟

وقال الجاويش في احتقار : «إنكم أمة قذرة»، وأجبتة في
سخرية : «أما أنتم أيها الأمريكيون فأمة من الأبطال، ومع ذلك فقد
أمكن لعشرة من الألمان وصف ضابط أن يوقفوكم أمام الخليج ثلاثة
شهور»..

وتقدم نحوي الجاويش وقد كور قبضته، وفجأة سمعنا أنين
الجريح والتفتنا جميعا نحوه وصاح الجريح في صوت خافت «هاللو يا

أولاد» ثم استند على مرفقه محاولاً أن يقوم من رقدته وابتسمت له
وأشرت إلى الجاويش قائلاً: «إنه يحسدك ويتمنى أن يكون جريحاً
مثلك لكي يعود إلى الوطن»!

وقال الجاويش وهو يمدق بيده على صدره: «لماذا تعود أنت إلى
الوطن ونظل نحن هنا؟»

وابتسم الجريح قائلاً: «الوطن»!

وقلت: «بعد قليل ستحضر النقالة.. وسيحملونك إلى المستشفى،
وفي خلال يومين ستكون على الطائرة إلى أمريكا، إنك حقاً رجل
سعيد»..

وابتدأوا في التهريج لإضحاك الجريح فتناول الجاويش حفنتين
من الطين ومسح بها على وجهه وهو يصيح: «هذا ظلم! هذا ظلم!»!
انتزع أحد الجنود قبعتي من على رأسي ووضعها في الأرض، وأخذ
يدور حولها راقصاً وهو يقول: «مكرونة اسباجتي.. مكرونة
اسباجتي! سنيوريتا»..

وأخذوا جميعاً يضحكون، وابتسم الجريح، وغمزني الجاويش
في كوعي قائلاً: «هيا»!

وتصاعد الدم إلى وجهي خجلاً، فأنا لم ألعب دور المهرج في يوم
من الأيام، ولكنني كنت أرى إنساناً يتعذب، ومن واجبي أن أخفف

عذابه.. أن أقوم بدور المهرج لا فى سبيل الوطن أو الإنسانية أو الشرف
أو المجد أو الحرية بل لكى أجعل طفلا أمريكيا يموت فى هدوء..

وصححت: «مضغ اللبان! مضغ اللبان» ثم أخذت أقفز أمام الصبى
الجريح، وكان الدور الذى اخترته دور رجل يمضغ قطعة هائلة من
اللبان، وقد التصق فكاه بحيث لا يستطيع أن يتكلم أو يتنفس
أو يبصق، وأخذت أرفع فكى الأعلى بكلتا يدي وأنا أدور وأقفز وأصيح،
ثم فتحت فمى وصححت: «تفوه! تفوه!» وكأنى أبصق قطعة هائلة من
اللبان..

وضحك الأمريكيون جميعا حتى الجريح ضحك وهو يقول:
«تفوه! تفوه!» ثم انطلق الجميع يؤدون هذه التمثيلية التى ابتكرتها،
وارتفع صوتهم بين أشجار الزيتون يصيح: «تفوه! تفوه!»

وفجأة سمعنا صوتا يصيح من بعيد.. وخرج إلينا من بين
الأشجار زنجرى طويل القامة، وحين رآنا نقفز أخذ يهز رأسه فى
حركة رتيبة وهو يصيح صياحا عاليا، ونظر إليه الجريح واستغرق فى
الضحك..

كان الزنجرى يحمل حقيبة على ظهره، ونظر إليه الجاويش ثم
صاح به: «افتح هذه الحقيبة»، وفتح الزنجرى الحقيبة وأخرج منها
زجاجة من النبيذ الأحمر، ثم نظر إليها فى شغف ورفع سدادتها
وتناول منها جرعة وانطلق يصيح صياحا مجنونا «أهو! أهو!»..

وصاح الجاويش «أعطني الزجاجة».. ومد الزنجرى يده بالزجاجة

فتناولها الجاويش وفتحها ثم صب جرعة كبيرة في كأس ناوله له أحد الجنود.. ثم نظر إلى «فرد» الجندي الجريح، وقال: «في صحتك يا فرد»..

وقال الجندي الجريح: «أعطني كأسا فإني عطشان»..

وتدخلت في الأمر قائلاً: «لا.. يجب أن لا يشرب»..

وقال الجاويش: «ولماذا لا يشرب؟.. إن كأسا من النبيذ تفيده بلا

شك»..

وقلت في صوت خفيض: «إن رجلا مجروح البطن يجب أن لا

يشرب.. إن كأسا من النبيذ تقتله وتعذبه»..

وقال لي الجاويش: «إنك قذر»..

ولم آبه لكلامه.. بل صحت: «أعطني كأسا من النبيذ لأشرب في

صحة فرد وصحة أسرته التي تنتظره في أمريكا»..

وقال فرد باسمي: «وصحة ماري حبيبتي أيضا»..

وشربنا جميعا نخب ماري، ثم قال الجاويش للزنجي: «عن

أغنية لفرد.. أتعلم لماذا يحب أن تغني!.. لأن (فرد) سيعود إلى الوطن

بعد يومين»..

وأضاف فرد: «وسينتظرنني بابا وماما وأخي بوب وأختي

دوروثى وعمتى ليونورا..» ثم سكت وبدأ أنه يتنفس فى صعوبة بالغة..

وأكمل الجاويش قائلا: «ومارى الجميلة»، وأطرف الجريح فى ابتسامة ذابسة، والتفت الجاويش إلى الزنجى وسأله: «ماذا تفعل لو كنت العمة ليونورا؟»

وأخذ الزنجى يأتى بحركات مضحكة، كأنه امرأة عجوز واقفة فى أرض أحد المطارات تنتظر مسافرا والصبى الجريح يبتسم..

ونظرت أنا إلى الجاويش مشيرا إلى الجريح: «انظر إلى الصبى، إن خديه يتألقان بالابتسام»

وقال الجاويش: «إنه يتعذب» وضغط بأصابعه على ذراعى..

وأجبتة: «إنه لا يتعذب أبدا»..

وقال الجاويش فى صوت أجش: «إنه يموت.. ألا ترى أنه يموت؟»

وقلت: «إنه يموت فى سلام دون عذاب».

وصاح الجاويش: «أيها الإيطالى القذر»، وكانت الكراهية تموج فى عينيه..

وفى تلك اللحظة أطلق «فرد» تنهيدة، وحاول أن يعتمد على مرفقيه ويقوم.. ولكن لون الموت كان يزحف على خديه وعينيه، وكان

الجميع صامتين، الجنود والجاويش والزنجى.. وكانت عيونهم مليئة بالدمع..

وغمغم الرجل الجريح: «إنى أشعر بالبرد»، وخلعت معطفى ولففته حول ساقيه، وخلع الجاويش معطفه وألقاه على كتفى الجريح، ثم سأله: «هل أنت بخير؟»

وأجاب الصبى: «نعم.. شكرا لكم»، والتفت الجاويش إلى الزنجى وقال له: «غن» وأجابه الزنجى: «لا.. لا.. أنا خائف»، وصاح به الجاويش: «إذا لم تغن فسأقتلك»، وجلس الزنجى على الأرض.. وانطلق يغنى أغنية حزينة عن عذاب زنجى مريض يجلس على ضفة نهر وأمامه حقول القطن الممتدة، وأخذ الجريح يئن والدموع تبلل وجهه..

وصاح الجاويش بالزنجى: «اسكت.. إن أغنيتك حزينة، ولا نغم لها.. عن أغنية ثانية»..

وقال الزنجى: «ولكنها أغنية جميلة».. وأجابه الجاويش «بل هى أغنية كئيبة» وأشار إلى بأصبعه ثم استطرد يقول: «حتى موسولينى لا تعجبه هذه الأغنية»..

وضحك الجميع والتفت الجريح إلى وجهه فى دهشة.. وصاح الجاويش: «اسكتوا جميعا، ودعوا موسولينى يتكلم»..

وابتسم الجريح، ونظروا جميعا إلى ، وقال الزنجى: «إنك لست موسولينى، إن موسولينى رجل عجوز بدين»..

وقلت له: «إنك تظن أنني لست موسولينى، ولكن انظر إلى جيداً»، ثم وقفت وقد باعدت بين قدمي ومددت عجيزتي للخلف ونفخت أشداقى وصحت: «إلى جميع لابسى القمصان السوداء فى إيطاليا.. إن الحرب التى انهزمنا فيها بشرف قد كسبناها ثانية، وأن أعداءنا المحبوبين، استجابة لدعوات جميع الإيطاليين، قد نزلوا أخيراً إلى إيطاليا ليحاربوا حلفاءنا الأشرار الألمان، يا لابسى القمصان السوداء اهتفوا «لتحيا أميركا»..

وهتف الجميع فى مرج: «ليحيا موسولينى».. وضحك الجريح.. وصاح بى الجاويش: «استمر»، ولكنى كنت حزينا فلم أستطع أن أنطق، وحاولت أن أعتذر للجاويش، ولكنه هددنى بقبضة يده.

وعندئذ لاحظت بعض الفتيات الإيطاليات، والتفت إليهن الجميع.. وتقدم منهن الجاويش وصاح بإحداهن: «هل نرقص يا سنيوريتا»..

وأخرج الزنجى آلة موسيقية صغيرة من جيبه ورفعها إلى شفتيه وأخذ يعزف، وابتدأ الجاويش الرقص مع إحدى الفتيات، وسرعان ما نسى الجميع كل شئ إلا الرقص. وجلست أنا على الأرض بجانب الجريح وقلت له: «إنهم ظرفاء.. إن الأمريكيين ظرفاء وأنا أحبهم»..

وقال الجريح: «والإيطاليون أيضا ظرفاء، لقد أحببتهم منذ نزلت إيطاليا، ثم مد يده فأخذ يدي وضغط عليها ضغطا واحدا.. واحتفظت بيده بين يدي حتى أصبحت باردة كالثلج، ونظرت فى

وجهه.. وصاح الجاويش: «إنه ميت»..

وصحت فى الراقصين، فأقبلوا جميعا ونظروا فى وجهه وصاح
الجاويش: «إنه ميت»..

وقلت: «إنه نائم.. لقد استغرق فى النوم دون أن يتعذب»..

وزار الجاويش قائلا: «إنك مسئول عن موته.. لقد قتلته يا أيها
القدر»، ثم ضم يده ولكمنى فى وجهى، وصاح الجميع: «أيها القدر» ثم
انهالوا على ضربا ولكما، ولم أحاول أن أرد ضرباتهم أو أحمى نفسى
من اللكمات، ولم أنطق بكلمة.. لقد مات «فرد» دون ألم، وقد كنت
مستعدا أن أهب حياتى لكيلا يتعذب، لقد كنت ملقى على الأرض
تحت أقدامهم، وسعيدا لأنى منحت إنسانا الموت دون عذاب..

وفجأة سمعنا صوت سيارة.. وصاح كامبل بعد أن ترجل عن
السيارة: «ماذا هناك؟»

وتراجع الجميع بعيدا عنى فى سكون، وتقدم الطبيب الذى كان
يصحب كامبل وسأل مشيرا إلى: «ماذا فعل هذا الرجل الذى يسيل منه
الدم؟»

وقال الجاويش: «إنه إيطالى قدر، لقد ترك الجريح يموت.. لقد
منعنا من نقله إلى المستشفى.. لقد تركه يموت فى الطين كأنه كلب»..

وسألنى الطبيب: «لماذا منعتم من الذهاب به إلى المستشفى؟»

وقلت: «لو نقلناه إلى المستشفى مات في الطريق بعد أن يعاني
أشد العذاب، فلقد كانت بطنه مشقوقة، ولم أكن أريد له أن يتعذب وقد
مات دون أن يدري أنه يموت.. وكأنه طفل يستغرق في النوم»..

ونظر إلى الطبيب في هدوء، ثم اتجه إلى الرجل المريض، ورفع
البطانية، ونظر نظرة طويلة في الجرح الغائر المخيف، ثم ترك
البطانية واتجهت عيناه إلى ثم مد يده فمددت يدي وصافحني وهو
يقول:

«أشكرك على عنايتك به.. أشكرك عن الجيش وعن أمه
وأسرته»..

كان الأمير كانديا، وهو أحد أرستقراطي نابولي قد أقام حفلة
عشاء، دعا إليها بعض أصدقائه الأرستقراطيين والكولونيل الأمريكي
وأنا، والأمير بهذه المناسبة رجل نبيل حقا، يتمتع بمكانة مرموقة بين
مواطنيه، وهذه المكانة قديمة ترجع إلى عام ١٩٣٨ حينما زار هتلر
نابولي فرفض الأمير أن يحضر المأدبة التي أقيمت تكريما للفوهرر،
وأصدر موسولينى حينئذ أمرا باعتقاله ثم بتحديد إقامته في قريته،
وقد ارتفعت مكانة الأمير حين رفض هذه المرة أن يشترك في الوفد
الذى اختير لكى يسلم مفاتيح المدينة للجنرال كلارك الأمريكى، وقد
قال الأمير إنه ليس من عادة نابولي أن تسلم مفتاحها لمن يغزوها، فلما
قيل له أن الأمريكيين محررون لا غزاة أجاب بقوله: كنت دائما رجلا
حرا، والعبيد وحدهم هم الذين ينتظرون محررهم..

وجلسنا على مائدة الأمير، وأخذنا نتحدث حتى سألت السيدة ماريّا تيريزا، إحدى نبيلات المدينة، الكولونيل جاك هاملتون قائلة: هل هناك كثير من الزنوج فى الجيش الأمريكى؟

وقال الكولونيل: نعم.. هناك كثيرون.. وقال كونسيو، وهو إيطالى كان سفيرا لبلاده فى لندن زمنا طويلا.. لقد أخبرنى أحد الضباط الإنجليز أن هناك كثيرا من الزنوج الأمريكيين فى إنجلترا نفسها، وقال لى إن السفير الأمريكى سأل مرة فى إحدى المآدب سيدة إنجليزية أرستقراطية عن رأيها فى الجيش الأمريكى، فقالت.. إن جنوده يعجبوننى، ولكنى أتساءل لِمَ أحضروا بينهم هؤلاء البيض الشبان؟ لقد كانت السيدة تظن أن الجيش الأمريكى كله من السود..

وقال الكولونيل: «إننى أعجب لمانا يفضل أهل نابولى صداقة الجنود السود على البيض؟» وأجاب الأمير فى هدوء: «لأن أهل نابولى قوم طيبون، والسود طيبون كذلك»..

كنت أحس أن الحديث لا يعنينى، ولذلك جلست ساكتا أسمع دون أن أتكلم، وفجأة سمعنا صوتا فى السماء، صوتا عرفته نابولى فى الأيام الأخيرة كثيرا.. لقد كان صوت طائرة، وسكتنا جميعا، ثم اهتزت الأرض، وقمنا من على المائدة، وفتحنا النوافذ فى سرعة..

وبدأت أصوات أخرى تقترب، وكانت كأنها تتصاعد من البحر الساكن، ثم تثب من منزل إلى منزل عبر المدينة، من شارع إلى شارع، حتى تراكمت أخيرا فى صرخة بشرية متألة حادة الرنين..

وتراجعنا عن البؤافذ، ثم خرجنا إلى الصالة التى تطل على الحديقة ثم البحر، ومددنا أبصارنا إلى هوة السماء الخضراء ومباني الميناء التى تلوح كالأشباح، وإلى بركان فيزوف وقد توسط القمر فوقه.. كان المنظر كله جميلا حزيناً..

وأحسست اقتراب الخطر، كأن شيئاً سيأتى من الخارج ليدهر روحى.. شيئاً أستطيع أن ألمسه وأن أراه، ومددت يدي لألمس يد كونسيلو كأنى أريد أن أخبره أن هناك خطراً مدمراً فى الأفق، وأن علينا أن يشجع كل منا الآخر.

سقطت القنبلة قريباً منا، على سور الحديقة الخلفى، بعد بضع ثوان سمعنا الصوت المدوى لانهييار الحائط، ثم أصواتا مختلطة مختلفة كأن كلا منها ينادى الآخر، ثم تلك الخطى المفزوعة المضطربة، ثم أصوات الخدم العالية وهم يأمرّون الناس بالهدوء، ثم أخذت هذه الأصوات تقترب وعلى مدخل الصالة كانت جماعة كبيرة مذعورة من أهل نابولى..

وعلى ضوء شمعدان يحمله أحد الخدم، ويلقى ضوءاً أحمر شاحباً على المدخل، كانت تقف جماعة من النساء شبه عاريات، لقد خرجن من الفراش إلى الشارع، وكن يسكتن برهة ثم يرتفع صوتهن فجأة كأنه عواء حيوان، وكن جميعاً يتلفتن بعيونهن نحو الباب الذى دخلن منه كأنهن يخشين أن يكون الموت هو الذى ساقهن أمامه إلى هذا المكان، وسيدخل هو بعد ذلك بوجهه البشع ليحصدهن حصداً، وأخذنا

نحاول تهدئتهم دون جدوى، وكان كثير منهم مازلن شبه نائمات، وكان الخجل يربكهن لأنهن عاريات تقريبا؛ فكن يحاولن أن يغطين أكتافهن بأيديهن أو يحتمين وراء الأطفال الذين كانوا ينظرون إلينا فى زعر ورهبة..

كان على المائدة كومة من الصحف، وأمر الأمير خدمة أن يوزعوها على النساء ليغطين بها أجسادهن العارية..

لقد كان هؤلاء جميعا جيران الأمير، ورغم أن الدهشة كانت تملؤهم لوجودهم فى هذه الصالة الرائعة الموهبة بالذهب والمزينة بصور العصور الوسطى، إلا أنهم سرعان ما استردوا رباطة جأشهم، وخاصة بعد أن نثر الخدم الشموع فى أرجاء الصالة، وأخذوا يتكلمون ويوجه بعضهم الشكر للأمير شكرا يا سنيور.. شكرا..

وأحضرت الكراسى، وأمرهم الأمير فى صوت مرتفع أن يجلسوا، ثم صب لهم الخدم النبيذ، ونظر الأمير إلى ثم قال: «ليت عندى بعض الخبز لإطعامهم، ولكنك تعلم أن الخبز قد أصبح نادرا هذه الأيام»، ولم أستطع أن أجيبه فأحنييت رأسى..

وعندما بدأ الخدم فى صب النبيذ فوجئنا برجل يخرج من بين الصفوف ثم يتجه إلى المائدة، ويرفع بكلتا يديه إحدى جرار النبيذ المليئة، ثم يطوف بالنساء واحدة بعد أخرى ويملا لكل منهن كوبها، ثم يتجه إلى الأمير، ويقول فى صوت ساخر «بعد إذنك يا صاحب السعادة!» ثم يملا لنفسه كوبا كبيرة، ويجرعها مرة واحدة..

كان الرجل أحمق، فى الخمسين من عمره ذا وجه نحيل وشارب صغير، وكانت هيئته مضحكة، وأخذت الأصوات تعلو فى الصالة تناديه «جنريللو»، والتفت الأحذب إلى الأمير ثم قال له بنفس الصوت الساخر.. بعد إذنك يا صاحب السعادة!.. ونظر إلى النساء جميعا بأسى ثم اندفع يجرى فى الصالة وهو يلوح بذراعيه ويدق صدره بيديه المضمومتين كأنه يحاول أن يمسك شيئاً فى الهواء.. طائر أو سحابة أو ملاك أو زهرة ملقاة من نافذة، وابتسمت إحدى النساء ثم امرأة أخرى ثم أضاءت وجوههن البيضاء جميعا بالابتسام، ثم قامت إحداهن ووقفت أمامه وأخذت تجارى حركاته، ثم امرأة أخرى ثم ثالثة ثم قمن جميعا، وأخذ الأحذب يقفز بينهن والجميع يضحكن ويرقصن.. حتى الأطفال..

وفجأة اهتزت الجدران مرة ثانية، ثم انطفأت الشموع، وأخذ الغبار يتراكم فى مدخل الصالة ثم سقطت بعض الجدران وسمع صراخ ونحيب وعويل، وصاح الأمير «لا تخافوا! لا تخافوا»، وأسرع الخدم بإضاءة الشموع.. وكان هناك كوم من النساء ملقى على الأرض، بلا حراك، جامد الأعين، وفى وسطهن كان الأحذب، أزرق الوجه وقد تمزقت ثيابه، وحالما أضيئت الأنوار أسرع فوثب فوق أجساد النساء، وأخذ يجرى مذعورا خلال الباب..

وصاح مضيئنا «لا تخافوا! لا تخافوا لا تتحركوا من أمكنتكم»، كانت النساء قد أخذن أطفالهن فى أيديهن وتدافعن نحو الباب فى رعب «أين تظنون أنكم تهربون» بينما مد الخدم أيديهم وهم يحاولون

إيقاف هذا القطيع من النساء المندفح نحو الباب، وفجأة سمع صوت من بعيد، ثم اقترب الصوت، وظهر على مدخل الباب جماعة من الرجال، ي حملون فى ذراعهم بنتا صغيرة مغمى عليها..

وصاح الأمير بالخدم «دعوهم يدخلون»! وتقدم بنفسه ليشق لهم طريقا وهو يدير عينيه فى الصالة ليتخير لهم مكانا يستطيعون فيه أن يرقدوا الصبية الصغيرة..

ومد يده إلى المائدة، وأخذ يزيح الزجاجات والأكواب التى تنائرت إلى الأرض متحطمة حتى أوسع مكانا للفتاة، ثم قال «ضعوها هنا».

وعندما مدد الرجال الفتاة على المائدة تبين لهم أنها ميتة، كان أحد ذراعيها ملقى إلى جانبها بينما انعقد الآخر على ثديها الأيسر الممزق.. ولكن ميتتها الشنيعة لم تمنح من وجهها صفاء العينين ولا ابتسامة الفم، كان كل شىء فى جسدها ووجهها باردا ما عدا الابتسامة والنظرة كانتا كلهما حياة وتألق، وكان جسدها الملقى على المائدة يلقى فى المكان كله ظلال من الهدوء والسلام..

وتقدم مضيقنا فجلس نبضاها، واتجهت إليه جميع العيون كأنه هو وحده الذى يستطيع أن يقرر مصير الفتاة التعسة، وحين قال «لقد اصطفاها الله» ارتفعت أصوات البكاء والعويل، وأخذ النساء يشدن شعرهن ويلطمن الوجوه ويصحن باسمها «كونشتى! كونشتى»، كانوا جميعا يعرفون الفتاة ويحبونها، وتقدمت امرأتان عجوزان إلى الجسد

الملقى على المائدة ثم أخذتا تقبلان ذلك الجسد وتعانقانه فى شبه جنون وهما تصيحان «قومى يا حبيبتى! قومى»!.. كانت المرأتان تعانقان الجسد وتقبلانه فى عنف وحنون ويأس، وكانتا تصيحان فى تفجع وقسوة حتى توقعت أن أراهما فى النهاية تنهالان على الجسد الميت ضرباً..

وصاح مضيفنا «خذوها إلى حجرة داخلية» لم تقدم فدفعت المرأتين المباليتين، ورفع الجسد الميت بين يديه فى رقة ووضعته فى أيدى الخدم الذين حملوه إلى غرفة داخلية..

كانت الفتاة الصغيرة الميتة شبه عارية، ولف مضيفنا جسدها بمفرش المائدة والخدم يقلبونها بين أيديهم، ثم تقدمت ماريا تيريزا وقالت له: «استرح أنت، ودعنى أتم هذا العمل».. وسارت ماريا تيريزا وراء الخدم ومعها بعض النساء..

كان الفجر قد أشرف على البزوغ، والسماء على امتدادها تهتز بنسيم الصباح، والطيور وحفيف الأشجار وبركان فيزوف من بعيد.. والنقوش الأرابسك فى الصالة ومدخل غرفة المائدة التى استلقى فيها الجسد الميت أمام ناظرى كان منظرًا غريبًا يلوح لى من خلال باب الغرفة، لقد استلقت الصغيرة عارية تماماً، وكانت ماريا تيريزا تغسل جسدها وتجففه يعاونها بعض النساء يحملن لها حوض الماء وزجاجة الكولونيا وقطعة الإسفنج، وكان كل شىء فى الغرفة ينعكس على وجه الفتاة.. نور الشمعدان الشاحب وانعكاس المزايا والنجف والصينى

وضوء الفجر الشفاف.. وكان كل ما حولنا ساكنا حتى بكى طفل، فبكت بعض النساء فى هدوء دون صوت..

فى ذلك الحين كانت النساء فى الغرفة يضعن على الفتاة ثيابا حريرية جميلة ويزيننها ويمشطن شعرها، وتسالت بعض النساء الأخريات من الصلاة إلى غرفة المائدة ثم وقفن أمام الفتاة الميتة وهن يصحن «ما أجملها! ما أجملها»، وتقدمت واحدة فركعت أمام المائدة وتمتت بالصلاة، وتبعتهن أخريات، وصاح صوت واهن فى شغف «إنها معجزة! إنها معجزة!»

وتلقف الآخرون الكلمة «معجزة! معجزة»، وابتعدوا قليلا عن المائدة كأنهن يخشون أن تلوث هلاهيلهم وأسمالهم القذرة روعة المعجزة، وانتقلت كلمة المعجزة من شفة إلى شفة، ومن غرفة إلى أخرى، ومع الصباح كان كثير من الفقراء من «فيكولا دل بالنزو» وغيرها من القرى المجاورة يتجمعون أمام الباب ليشاهدوا روعة المعجزة، وكانت بعض النساء العجائز يحملن الشموع المضاءة وينشدن التراتيل.. وتبعتهن نساء أخريات وأطفال بلا عدد يحملون الزهور البيضاء والحلوى التقليدية التى يأكلها أهل نابولى فى الأعياد الدينية، وكان بعض النساء يحملن أوانى النبيذ أو سلال الليمون، وبعد قليل جاءت نساء يصحبن معهن أطفالا مشوهين وعرجا وعميانا ومرضى، ووقفن جميعا أمام الباب فى انتظار المعجزة..

قبل هذا اليوم بأيام قليلة، كان الجنرال كلارك الأمريكى قد أقام مأدبة عشاء تحية لمسز فلات، وهى سيدة أمريكية تعمل فى الصليب الأحمر، وتشرف على كثير من أعمال الخير، والجنرال

كلارك رجل حازم جاد، ولكنه يحب أن تزدان مائدته في كل وليمة يقيمها بصنف غريب من الطعام، ولما كان حوض الأسماك في نابولي مليئًا بالأسماك الغريبة فقد تعود الجنرال كلارك كلما زاره زائر ذو أهمية أن يزين مائدة الطعام بصنف غريب من السمك..

وفي تلك المرة نادى الجنرال كلارك طبائخه وأمره أن يختار نوعا غريبا من السمك كالعادة ليكون في وسط المائدة، وقال له الطباخ إنه لم يبق في الحوض - بعد الولايم التي أقامها الجنرال لتشرشل وفشنسكي وغيرهما - إلا عروس البحر.. وسأله الجنرال: «وهل طعمها لذيق؟» وأجابته الرجل: «لذيق جدا يا سيدي الجنرال»، وجلسنا على المائدة في انتظار الطعام، وتقدم الطباخ والسفرجي فوضعا صحننا كبيراً أمام الجنرال والمسز فلات، ثم تأخرنا خطوتين، وما كدنا ننظر في الصحن حتى شحب وجهنا، وندت صرخة فزع من شفتي المسز فلات.. وتراجع الجنرال في مقعده..

كان في السجن فتاة صغيرة في الثامنة أو العاشرة من عمرها، أو ما يشبه فتاة صغيرة أكبر الشبه، وكانت عيناها مفتوحتين وشفتاها نصف مغلقتين، وكانت عارية تلمع بشرتها الداكنة كما يلمع ثوب المسز فلات الغامق، وكان جسدها ناميا.. صدرها وعجزها حتى ليخيل إليك أنها في الخامسة عشرة من عمرها، ولكن الطهي والغليان كانا قد هدلا تماسك جسدها، وكانت هذه أول مرة في حياتي أرى فيها فتاة صغيرة بعد طبخها، ولذلك فقد عقد الرعب لساني، مثلما عقد لساني الجميع..

وقال الجنرال كلارك فى صوت مرتعش: «ولكنها ليست سمكة.. إنها فتاة صغيرة»! وقلت «لا.. هى سمكة»..

وسألنى الجنرال: «هل أنت واثق أنها سمكة؟.. سمكة حقيقية»..

وأجبتة: «نعم.. إنها سمكة.. إنها عروس البحر الشهيرة التى أهديت لملك إيطاليا من بحار الحبشة»..

وصاحت المسز فلات: «ابتعدوا هذا الشئ الفظيع عنى.. إنى لم آت إلى أوروبا لآكل الفتيات الصغار»..

وقال الجنرال كلارك: «ولكنها سمكة.. ليست فتاة صغيرة، فقد أكد لنا مالبارته أنها سمكة»..

وأجابت السيدة الأمريكية فى صوت بارد: «إنى لا أصدق تأكيداتك، ولا تأكيدات صديقك مالبارته هذا.. هل جئت إلى أوروبا لآكل لحم الفتيات بالمايونيز؟.. أرجوك ارفع هذا الصحن عن المائدة»..

وصاح الجنرال كلارك فى الطباخ: «ارفع هذه الفتاة.. أقصد هذه السمكة عن المائدة»، وفجأة صاح أحد الجالسين على المائدة واسمه الكولونيل براون وهو من كبار الوعاظ فى الجيش الأمريكى: «ينبغى أن ندفنها.. هذه الطفلة المسكينة»..

وصاحت مسز فلات: «ماذا؟»

وقال الواعظ: «لقد قلت ندفنها»..

وقال الجنرال في دهشة: «ولكنها سمكة يا صاحب القداسة»..

وأجاب الواعظ: «أنتم تقولون إنها سمكة.. ولكنها تشبه الفتاة الصغيرة أشد الشبه.. ومن واجبنا أن ندفن هذه البنت الصغيرة.. من واجبنا كمسيحيين.. ألسنا مسيحيين؟» وقالت مسز فلات: «إنى أميل إلى رأى صاحب القداسة»..

ووجدت الفرصة سانحة للتدخل فقلت: «ولكن ليس هناك مدافن للسمك فى نابولى.. إن أهل نابولى يأكلون السمك ويدفنون الناس، ولكنهم لا يأكلون الناس ويدفنون السمك»..

وقال الواعظ، وكأنه لم يسمع كلامى: «نستطيع أن ندفنها فى الحديقة».. وأحنى الجنرال رأسه موافقا، وأطرقت المسز فلات، ثم انحدرت الدموع فى عينيها وصاحت: «شكراً لله»..

المشروع القومي للترجمة

المشروع القومي للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التي حققتها مشروعات الترجمة التي سبقته في مصر والعالم العربي ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التوازن بين المعارف الإنسانية في المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .

٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمة الأصول المعرفية التي أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعي في الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنباً إلى جنب المنجزات الجديدة التي تضع القارئ في القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

١ - اللغة العليا (طبعة ثانية)	جون كوين	ت : أحمد إدويش
٢ - الوثنية والإسلام	ك. مانهو بانتيكار	ت : أحمد فؤاد بليغ
٣ - التراث المسروق	جورج جيمس	ت : شوقي جلال
٤ - كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كارييتكوف	ت : أحمد الحضري
٥ - ثوبا في غيبوبة	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
٦ - اتجاهات البحث اللساني	ميلكا إفيش	ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد
٧ - العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	ت : يوسف الأنطكي
٨ - مشعلو الحرائق	ماكس فريش	ت : مصطفى ماهر
٩ - التغيرات البيئية	أندروس. جودي	ت : محمود محمد عاشور
١٠ - خطاب الحكاية	جيرار جينيت	ت : محمد مقصم وعد النجلى الأزني وعمر حلي
١١ - مختارات	فيسرافا شيمبوريسكا	ت : هناء عبد الفتاح
١٢ - طريق العزير	ديفيد براونستون وايرين فرانك	ت : أحمد محمود
١٣ - ديانة الساميين	روبرتسن سميث	ت : عبد الوهاب علوب
١٤ - التحليل النفسي والأدب	جان بيلمان نويل	ت : حسن المودن
١٥ - الحركات الفنية	إدوارد لويس سميث	ت : أشرف رفيق عفيفي
١٦ - أثينة السوداء	مارتن برنال	ت : بإشراف / أحمد عثمان
١٧ - مختارات	فيليب لاركين	ت : محمد مصطفى بدوي
١٨ - الشعر النسائي في أمريكا اللاتينية	مختارات	ت : طلعت شاهين
١٩ - الأعمال الشعرية الكاملة	جورج سفيريس	ت : نعيم عطية
٢٠ - قصة العلم	ج. ج. كراوثر	ت : يعنى طريف الخولي / بدوي عبد الفتاح
٢١ - خوخة والف خوخة	صمد بهرنجي	ت : ماجده العناني
٢٢ - مذكرات، رحالة من المصريين	جون أنتيس	ت : سيد أحمد علي الناصري
٢٣ - تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	ت : سعيد توفيق
٢٤ - ظلال المستقبل	باتريك بارنر	ت : بكر عباس
٢٥ - مثنوى	مولانا جلال الدين الرومي	ت : إبراهيم الاسوقي شتا
٢٦ - دين مصر الغام	محمد حسين هيكل	ت : أحمد محمد حسين هيكل
٢٧ - التنوع البشري الخلاق	مقالات	ت : ثخة
٢٨ - رسالة في التسامح	جون لوك	ت : منى أبو سنه
٢٩ - الموت والوجود	جيمس ب. كارس	ت : بدر الديب
٣٠ - الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مانهو بانتيكار	ت : أحمد فؤاد بليغ
٣١ - مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه - كلود كازين	ت : عبد الستار الحاوجي / عبد الوهاب علوب
٣٢ - الانفراض	ديفيد روس	ت : مصطفى إبراهيم فهمي
٣٣ - التاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	ت : أحمد فؤاد بليغ
٣٤ - الرواية العربية	روجر آلن	ت : حمزة إبراهيم المنبف
٣٥ - الأسطورة والحداثة	بول . ب . بيكسون	ت : خليل كلفت

٣٦ - نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	ت : حياة جاسم محمد
٣٧ - واحدة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	ت : جمال عبد الرحيم
٣٨ - نقد الحداثة	آلن تورين	ت : أنور مغيث
٣٩ - الإغريق والحسد	بيتر والكوت	ت : منيرة كروان
٤٠ - قصائد حب	أن سكستون	ت : محمد عيد إبراهيم
٤١ - ما بعد المركزية الأوروبية	بيتر جران	ت : عاطف أحمد / إبراهيم قصى / محمود ملحد
٤٢ - عالم ماك	بنجامين بارير	ت : أحمد محمود
٤٣ - اللهب المزوج	أوكتايفو بات	ت : المهدي أخريف
٤٤ - بعد عدة أصياف	ألدرس هكسلي	ت : مارلين تادرس
٤٥ - التراث المغفور	روبرت ج نيفيا - جون ف ا فاين	ت : أحمد محمود
٤٦ - مشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	ت : محمود السيد علي
٤٧ - تاريخ النقد الأدبي الحديث (١)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨ - حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ت : ماهر جويجاتي
٤٩ - الإسلام في البلقان	ه . ت . نوريس	ت : عبد الوهاب طوب
٥٠ - ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	ت : محمد يرانة وعثمانى الملوذ ويوسف الأتلكى
٥١ - مسار الرواية الإسبانية أمريكية	داريو بيانوييا وخ . م بينياليستي	ت : محمد أبو العطا
٥٢ - العلاج النفسى التدعيمى	بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج . روجسيفيتز وروجر ميل	ت : لطفى فطيم وعادل دمرداش
٥٣ - الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	ت : مرسى سعد الدين
٥٤ - المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	ت : محسن مصيلحى
٥٥ - ما وراء العلم	جون بواكنجهوم	ت : على يوسف على
٥٦ - الأعمال الشعرية الكاملة (١)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود على مكى
٥٧ - الأعمال الشعرية الكاملة (٢)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود السيد ، ماهر البطوطى
٥٨ - مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمد أبو العطا
٥٩ - المحبرة	كارلوس مونيفيث	ت : السيد السيد سهيم
٦٠ - التصميم والشكل	جوهانز ايتين	ت : صبرى محمد عبد الغنى
٦١ - موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور - سميث	مراجعة وإشراف : محمد الجوهري
٦٢ - لغة النص	رولان بارت	ت : محمد خير البقاعى .
٦٣ - تاريخ النقد الأدبي الحديث (٢)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤ - برتراند راسل (سيرة حياة)	الان وود	ت : رمسيس عوض .
٦٥ - فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	ت : رمسيس عوض .
٦٦ - خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧ - مختارات	فرناندو بيسوا	ت : المهدي أخريف
٦٨ - نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسيوتين	ت : أشرف الصباغ
٦٩ - العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	ت : أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهس
٧٠ - ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجت	ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١ - السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	ت : حسين محمود

- ٧٢ - السياسى المعجوز
٧٣ - نقد استجابة القارئ
٧٤ - صلاح الدين والمماليك فى مصر
٧٥ - فن التراجم والسير الذاتية
٧٦ - چاك لاكان وإغواء التحليل النفسى
٧٧ - تاريخ النقد الألبى الحديث ج ٢
٧٨ - العزلة: النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية
٧٩ - شعرية التأليف
٨٠ - بوشكين عند «نافورة الدموع»
٨١ - الجماعات المتخيلة
٨٢ - مسرح ميغيل
٨٣ - مختارات
٨٤ - موسوعة الأدب والنقد
٨٥ - منصور العلاج (مسرحية)
٨٦ - طول الليل
٨٧ - نون والقلم
٨٨ - الابتلاء بالغرب
٨٩ - الطريق الثالث
٩٠ - وسم السيف (قصص)
٩١ - المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق
٩٢ - أساليب ومضامين المسرح
الإسباني وأمريكى المعاصر
٩٣ - محدثات العزلة
٩٤ - الحب الأول والصحة
٩٥ - مختارات من المسرح الإسباني
٩٦ - ثلاث زنبقات ووردة
٩٧ - هوية فرنسا (مج ١)
٩٨ - الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى
٩٩ - تاريخ السينما العالمية
١٠٠ - مساطة العزلة
١٠١ - النص الروائى (تقنيات ومناهج)
١٠٢ - السياسة والتسامح
١٠٣ - قبر ابن عربى يليه آياه
١٠٤ - أوروبا ماهوجنى
١٠٥ - مدخل إلى النص الجامع
١٠٦ - الأدب الأندلسى
١٠٧ - صورة الفنان فى الشعر الأمريكى للعاصر
- ت . س . إليوت
چين . ب . توميكترز
ل . ا . سيمينوثا
أندريه مورا
مجموعة من الكتاب
رينيه ويليك
رونالد رويرتسون
يوريس أوسبىنسكى
الكسندر بوشكين
بندكت أندرسن
ميغيل دى أونامونو
غوتفريد بن
مجموعة من الكتاب
صلاح زكى أقطاى
جمال مير صادقى
جلال آل أحمد
جلال آل أحمد
أنتونى جيندز
نخبة من كتاب أمريكا اللاتينية
باربر الاسوستكا
كارلوس ميغل
مايك فينرستون وسكوت لاش
صمويل بيكيت
أنطونيو بوينو بايخو
قصص مختارة
فرنان برودل
نماذج ومقالات
ديفيد روينسون
بول هيرست وجراهام تومبسون
بيرنار فاليت
عبد الكريم الخطيبى
عبد الوهاب المذنب
برتول بريشت
جيرارچينيت
د. ماريا خيسوس روبييرامتى
نخبة
- ت : فؤاد مجلى
ت : حسن ناظم وعلى حاكم
ت : حسن بيومى
ت : أحمد درويش
ت : عبد المقصود عبد الكريم
ت : مجاهد عبد المظفر مجاهد
ت : أحمد محمود ونورا أمين
ت : سعيد القانى وناصر حلاوى
ت : مكارم الفجرى
ت : محمد طارق الشرقاوى
ت : محمود السيد على
ت : خالد المعالى
ت : عبد الحميد شبيحة
ت : عبد الرازق بركات
ت : أحمد فتحى يوسف شتا
ت : ماجدة العنانى
ت : إبراهيم الدسوقي شتا
ت : أحمد زايد ومحمد محيى الدين
ت : محمد إبراهيم مبروك
ت : محمد هناء عبد الفتاح
ت : نادية جمال الدين
ت : عبد الوهاب طوب
ت : فوزية العشماوى
ت : سرى محمد محمد عبد الحليف
ت : إدوار الخراط
ت : بشير السباعى
ت : أشرف الصباغ
ت : إبراهيم قنديل
ت : إبراهيم فتحى
ت : رشيد بنحو
ت : عز الدين الكتانى الإبريسى
ت : محمد بنيس
ت : عبد الفقار مكاوى
ت : عبد العزيز شبيب
ت : أشرف على دمور
ت : محمد عبد الله الجعيدى

١٠٨ - ثلاث دراسات عن الشعر الأثليسي	مجموعة من النقاد	ت : محمود على مكي
١٠٩ - حروب المياه	جون بولوك وعادل درويش	ت : هاشم أحمد محمد
١١٠ - النساء في العالم النامي	حسنة بيجوم	ت : منى قطان
١١١ - المرأة والجريمة	فرانسيس هيندسون	ت : ريهام حسين إبراهيم
١١٢ - الاحتجاج الهادي	أرلين علوي ماركليود	ت : إكرام يوسف
١١٣ - راية التمرد	سادى بلانت	ت : أحمد حسان
١١٤ - مسرحيات حماد كرنجي وسكان المستنق	ول شوينكا	ت : نسيم مجلى
١١٥ - غرفة تخص المرأة وحده	فرچينيا وولف	ت : سميرة رمضان
١١٦ - امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	ت : نهاد أحمد سالم
١١٧ - المرأة والجنوسة في الإسلام	ليلي أحمد	ت : منى إبراهيم ، وهالة كمال
١١٨ - النهضة النسائية في مصر	بث بارون	ت : لميس النقاش
١١٩ - النساء والأسرة وقوانين الطلاق	أميرة الأزهرى سنيل	ت : بإشراف/ رؤوف عباس
١٢٠ - الحركة النسائية والتطور في الشرق الأوسط	ليلي أبو لغد	ت : نخبه من المترجمين
١٢١ - الدليل الصغير في كتابة المرأة العربية	فاطمة موسى	ت : محمد الجندي ، وإيزابيل كمال
١٢٢ - نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان	جوزيف فوجت	ت : منيرة كروان
١٢٣ - الإمبراطورية العشائية وعلاقاتها الدولية	نيل الكسنتر وفنابواينا	ت : أنور محمد إبراهيم
١٢٤ - الفجر الكاذب	جون جرائ	ت : أحمد فؤاد بلبع
١٢٥ - التحليل الموسيقى	سيدريك ثورپ ديثي	ت : سمحه الخولي
١٢٦ - فعل القراءة	فولفانج إيسر	ت : عبد الوهاب علوب
١٢٧ - إرهاب	صفاء فتحى	ت : بشير السباعي
١٢٨ - الأدب المقارن	سوزان باسليت	ت : أميرة حسن نورية
١٢٩ - الرواية الاسيائية المعاصرة	ماريا دولورس أنيس جاروته	ت : محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠ - الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندر فرائك	ت : شوقي جلال
١٣١ - مصر القديمة (التاريخ الاجتماعي)	مجموعة من المؤلفين	ت : لويس بقطر
١٣٢ - ثقافة العولة	مايك فينرستون	ت : عبد الوهاب علوب
١٣٣ - الخوف من المرايا	طارق على	ت : طلعت الشايب
١٣٤ - تشريح حضارة	بارى ج. كيمب	ت : أحمد محمود
١٣٥ - المختار من نقد س. إليوت (ثلاثة أجزاء)	ت. س. إليوت	ت : ماهر شفيق فريد
١٣٦ - فلاحو الباشا	كينيث كونو	ت : سحر توفيق
١٣٧ - مذكرات ضابط في الحملة الفرنسية	جوزيف ماري مواريه	ت : كاميليا صبحي
١٣٨ - عالم الفيزييون بين الجمال والعنف	إيفلينا تاروني	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩ - باريسغال	ريشارد فاچنر	ت : مصطفى ماهر
١٤٠ - حيث تلتقي الأنهار	هربرت ميسن	ت : أمل الجبوري
١٤١ - اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	ت : نعيم عطية
١٤٢ - الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	ت : حسن بيومي
١٤٣ - قضايا التطير في البحث الاجتماعي	ديريك لايدار	ت : عدلى السمرى
١٤٤ - صاحبة اللوكاندة	كارلو جولدوتى	ت : سلامة محمد سليمان

١٤٥ - موت أرتيميو كروت	كارلوس فويتس	ت : أحمد حسان
١٤٦ - الورقة الحمراء	ميجيل دي ليس	ت : علي عبد الرؤوف البمبي
١٤٧ - خطبة الإدانة العلوية	تاتكريد دورست	ت : عبد الغفار مكاوي
١٤٨ - القصة القصيرة (النظرية والتقنية)	إنريكي أندرسون إمبرت	ت : علي إبراهيم علي منوف
١٤٩ - النظرية الشعرية عند إليوت وألونيس	عاطف فضول	ت : أسامة إسبر
١٥٠ - التجربة الإخرائية	روبرت ج. ليتمان	ت : منيرة كروان
١٥١ - هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ١)	فرنان برودل	ت : بشير السباعي
١٥٢ - عدالة الهند وتخصص أخرى	نخبة من الكتاب	ت : محمد محمد الخطابي
١٥٣ - غرام القراءة	فيواين ماتروك	ت : فاطمة عبد الله محمود
١٥٤ - مدرسة فرانكفورت	أيل سليتر	ت : خليل كلفت
١٥٥ - الشعر الأمريكي المعاصر	نخبة من الشعراء	ت : أحمد مرسى
١٥٦ - المدارس الجمالية الكبرى	جى أقبال والان وأديت فيرمو	ت : مى التلمساني
١٥٧ - خسرو وشيرين	النظامي الكتوجي	ت : عبد العزيز بقوش
١٥٨ - هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ٢)	فرنان برودل	ت : بشير السباعي
١٥٩ - الإيديولوجية	ديفيد موكس	ت : إبراهيم فتحى
١٦٠ - آلة الطبيعة	بول إيرليش	ت : حسين بيومي
١٦١ - من المسرح الإسباني	البيخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	ت : زيدان عبد الحليم زيدان
١٦٢ - تاريخ الكنيسة	يوحنا الأسوي	ت : صلاح عبد العزيز محبوب
١٦٣ - موسوعة علم الاجتماع ج ١	جوردون مارشال	ت : بإشراف : محمد الجوهري
١٦٤ - شامبوليون (حياة من نور)	جان لاكوتير	ت : نبيل سعد
١٦٥ - حكايات الثعلب	أ . ن أمانا سيدا	ت : سهيل المصاندة
١٦٦ - العلاقات بين المتدين والطوائف في إسرائيل	يشعياهو ليفمان	ت : محمد محمود أبو غدير
١٦٧ - في عالم طاغور	رابندرانات طاغور	ت : شكري محمد عياد
١٦٨ - دراسات في الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	ت : شكري محمد عياد
١٦٩ - إبداعات أدبية	مجموعة من المبدعين	ت : شكري محمد عياد
١٧٠ - الطريق	ميفيل دليبيس	ت : بسام ياسين رشيد
١٧١ - وضع حد	فرانك بيجو	ت : هدى حسين
١٧٢ - حجر الشمس	مختارات	ت : محمد محمد الخطابي
١٧٣ - معنى الجمال	ولتر ت . ستيس	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤ - صناعة الثقافة السوداء	ايليس كاشمور	ت : أحمد محمود
١٧٥ - التليفزيون في الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦ - نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	ت : جلال البنا
١٧٧ - أنطون تشيخوف	هنري تروايا	ت : حسنة إبراهيم منيف
١٧٨ - مختارات من الشعر اليوناني الحديث	نخبة من الشعراء	ت : محمد حمدي إبراهيم
١٧٩ - حكايات أيسوب	أيسوب	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠ - قصة جاويد	إسماعيل فصيح	ت : سليم عبدالامير حمدان
١٨١ - النقد الأدبي الأمريكي	فنتسنت ، ب . ليتش	ت : محمد يحيى

١٨٢ - العنف والذبيحة	و . ب . بيتس	ت : ياسين طه حافظ
١٨٣ - چان كوكو على شاشة السينما	رينيه چيلسون	ت : فتحى العشرى
١٨٤ - القاهرة .. حالة لا تنام	هانز إيتورفر	ت : دسوقي سعيد
١٨٥ - أسفار العهد القديم	توماس تومسن	ت : عبد الوهاب علوب
١٨٦ - معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل أنوود	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧ - الأرضة	بُردج علوى	ت : علاء منصور
١٨٨ - موت الأدب	الفين كرتان	ت : بدر الديب
١٨٩ - العصى والبصيرة	بول دى مان	ت : سعيد الغامى
١٩٠ - محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	ت : محسن سيد فرجاني
١٩١ - الكلام راسمال	الحاج أبو بكر إمام	ت : مصطفى حجازى السيد
١٩٢ - سياحتنامه إبراهيم بيك	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
١٩٣ - عامل المنجم	بيتر أبراهامز	ت : محمد عبد الواحد مصد
١٩٤ - مختارات من نقد الأنطو - لمرى	مجموعة دن التقار	ت : ماهر شفيق فريد
١٩٥ - شفاء ٨٤	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
١٩٦ - المهلة الأخيرة	فالتين راسبرتين	ت : أشرف الصباغ
١٩٧ - الفاروق	شمس العلماء شبلى النعمانى	ت : جلال السعيد الحفناوى
١٩٨ - الاتصال الجماهيرى	إليون إمري وآخرون	ت : إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩ - تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية	يعقوب لاندواى	ت : جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد الطيف حماد
٢٠٠ - ضحايا التنمية	جيرمى سيبروك	ت : فخرى لبيب
٢٠١ - الجانب الدينى للفلسفة	جوزابا رويس	ت : أحمد الأنصارى
٢٠٢ - تاريخ النقد الأدبى الحديث ج١	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣ - الشعر والشاعرية	ألطاف حسين حالى	ت : جلال السعيد الحفناوى
٢٠٤ - تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شانزار	ت : أحمد محمود فويدي
٢٠٥ - الجينات والشعوب واللغات	اويجى لوقا كافالى - سفورزا	ت : أحمد مستجير
٢٠٦ - الهيولية تصنع علماً جديداً	جيمس جلاك	ت : على يوسف على
٢٠٧ - ليل إفريقى	رامون خوتاسنديز	ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٠٨ - شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى	دان أوريان	ت : محمد أحمد صالح
٢٠٩ - السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	ت : أشرف الصباغ
٢١٠ - مثنويات حكيم سنائى	سنائى الغزنوى	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١ - فردينان دوسوسير	جوناثان كلر	ت : محمود حمدي عبد الغنى
٢١٢ - قصص الأمير مرزيان	مرزيان بن رستم بن شروين	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٢١٣ - مصر منذ قوم تلحين حتى رجل عبد القاصر	ريمون فلاور	ت : سيد أحمد على الناصرى
٢١٤ - قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع	أنتونى جيننز	ت : محمد محمود محى الدين
٢١٥ - سياحت نامه إبراهيم بيك ج٢	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
٢١٦ - جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	ت : أشرف الصباغ
٢١٧ - مسرحيتان طبيعيتان	صمويل بيكيت	ت : نادية البنهاوى
٢١٨ - رايبولا	خوليو كورتازان	ت : على إبراهيم على متولى

٢١٩ - بقايا اليوم	كانزو ايشجورى	ت : طلعت الشايب
٢٢٠ - الهيولية فى الكون	بارى باركر	ت : على يوسف على
٢٢١ - شعرية كفافى	جريجورى جوزدانيس	ت : رفعت سلام
٢٢٢ - فرانز كافكا	رونالد جراى	ت : نسيم مجلى
٢٢٣ - العلم فى مجتمع حر	بول فيرابنر	ت : السيد محمد نقادى
٢٢٤ - دمار يوفسلافيا	برانكا ماجاس	ت : متى عبد الظاهر إبراهيم السيد
٢٢٥ - حكاية فريق	جابريل جارتيا ماركث	ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٦ - أرض المساء وقصائد أخرى	ديفيد هريت لورانس	ت : طاهر محمد على البربرى
٢٢٧ - المسرح الإيبلى فى القرن السابع عشر	موسى مارديا ليف بوركى	ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٨ - علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت رولف	ت : ماري تيريز عبد المسيح وخالد حسن
٢٢٩ - مأزق البطل الوحيد	نورمان كيمن	ت : أمير إبراهيم العمري
٢٣٠ - عن الذباب والفئران والبشر	فرانسواز جاكوب	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣١ - الدرافيل	خايمي سالوم بيدال	ت : جمال أحمد عبد الرحمن
٢٣٢ - مابعد المعلومات	توم ستينر	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣٣ - فكرة الاضمحلال	أرثر فيرمان	ت : طلعت الشايب
٢٣٤ - الإسلام فى السودان	ج. سبنسر تريمينجهام	ت : فؤاد محمد عكرو
٢٣٥ - ديوان شمس تبريزى ج ١	جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقي شتا
٢٣٦ - الولاية	ميشيل تود	ت : أحمد الطيب
٢٣٧ - مصر أرض الودى	روين فيدين	ت : عنايات حسين طلعت
٢٣٨ - العولة والتحرير	الانكتاد	ت : ياسر محمد جبار الله وعيسى مديولى أحمد
٢٣٩ - العربى فى الأدب الإسرائيلى	جيلارافر - رايوخ	ت : نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
٢٤٠ - الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كامى حافظ	ت : صلاح عبد العزيز محمود
٢٤١ - فى انتظار البرابرة	ك. م كويتز	ت : ابتسام عبد الله سعيد
٢٤٢ - سبعة أنماط من القموض	وليام إمبسون	ت : هبى محمد حسن عبد النبى
٢٤٣ - تاريخ إسبانيا الإسلامية ج ١	ليفى بروفنسال	ت : مجموعة من المترجمين
٢٤٤ - الغليان	لاورا إستكييل	ت : نادية جمال الدين محمد
٢٤٥ - نساء مقاتلات	إليزابيتا أليس	ت : توفيق على منصور
٢٤٦ - قميص مختارة	جابريل جرتيا ماركث	ت : على إبراهيم على منوفى
٢٤٧ - الثقافة الجماهيرية والحداثة فى مصر	ولتر أرمبرست	ت : محمد الشرقاوى
٢٤٨ - حقول عدن الخضراء	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٢٤٩ - لغة التمزيق	دراجو شتامبوك	ت : رفعت سلام
٢٥٠ - علم اجتماع العلوم	دومنيك فينك	ت : ماجدة أبازة
٢٥١ - موسوعة علم الاجتماع ج ٢	جوردون مارشال	ت : بإشراف : محمد الجوهري
٢٥٢ - رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	ت : على بدران
٢٥٣ - تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيمينوفا	ت : حسن بيومى
٢٥٤ - الفلسفة	ديف روينسون وجودى جروانز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥ - أفلاطون	ديف روينسون وجودى جروانز	ت : إمام عبد الفتاح إمام

٢٥٦ - ديكتات	ديف روينسون ويونى جروفلز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧ - تاريخ الفلسفة الحديثة	وايم كللى رايت	ت : محمود سيد أحمد
٢٥٨ - الفجر	سير أوجوس فريزر	ت : عبادة كحيلة
٢٥٩ - مختارات من الشعر الأرمنى	نخبة	ت : فاروچان كازانچيان
٢٦٠ - موسوعة علم الاجتماع ج ٢	جوردون مارشال	ت : ياشراف : محمد الجوهري
٢٦١ - رحلة فى فكر زكى نجيب محمود	زكى نجيب محمود	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢ - مدينة المعجزات	إدوارد منلونا	ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٦٢ - الكشف عن حافة الزمن	جون جرين	ت : على يوسف على
٢٦٤ - إبداعات شعرية مترجمة	هوراس / شلى	ت : لويس عوض
٢٦٥ - روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصموئيل جونسون	ت : لويس عوض
٢٦٦ - مدير المدرسة	جلال آل أحمد	ت : عادل عبد المنعم سويلم
٢٦٧ - فن الرواية	ميلان كونديرا	ت : بدر الدين عروكي
٢٦٨ - ديوان شمس تبريزى ج ٢	جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الاسوقى شتا
٢٦٩ - وسط الجزيرة العربية وشرقا ج ١	وايم جيفور بالجريف	ت : صبرى محمد حسن
٢٧٠ - وسط الجزيرة العربية وشرقا ج ٢	وايم جيفور بالجريف	ت : صبرى محمد حسن
٢٧١ - الحضارة الغربية	توماس مى . باترسون	ت : شوقى جلال
٢٧٢ - الأدبيرة الأثرية فى مصر	س. س. والترز	ت : إبراهيم سلامة
٢٧٣ - الاستعمار بالثروة فى الشرق الأوسط	جوان آر. لوك	ت : عنان الشهاوى
٢٧٤ - السيدة بربارا	رومولو جلاجوس	ت : محمود على مكى
٢٧٥ - س. إبيوت شامو وثافة وكاتب مسرحيا	أقلام مختلفة	ت : ماهر شفيق فريد
٢٧٦ - فنون السيما	فرائك جوتيران	ت : عبد القادر التمساني
٢٧٧ - الأحيات : الصراع من أجل الحياة	بريان فورد	ت : أحمد فوزى
٢٧٨ - البدايات	إسحق عظيموف	ت : ظريف عبد الله
٢٧٩ - الحرب الباردة الثقافية	فرانسيس ستونر سوتنورز	ت : طلعت الشايب
٢٨٠ - من الأب الهندى الحديث والمعاصر	بروم شند وأخرون	ت : سمير عبد الحميد
٢٨١ - الفردوس الأعلى	مولانا عبد الحليم شرر الكهنوى	ت : جلال الحفناوى
٢٨٢ - طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس وايبر	ت : سمير حنا صادق
٢٨٣ - السهل يحترق	خوان روافو	ت : على البمبى
٢٨٤ - هرقل مجنوناً	يوريبيدس	ت : أحمد عثمان
٢٨٥ - رحلة الخواجة حسن نظامى	حسن نظامى	ت : سمير عبد الحميد
٢٨٦ - رحلة إبراهيم بك ج ٢	زين العابدين المراهى	ت : محمود سلامة علاوى
٢٨٧ - الثقافة والعولة والنظام العالمى	أنتونى كنج	ت : محمد يحيى وآخرون
٢٨٨ - الفن الروائى	ديفيد لودج	ت : ماهر البطوطى
٢٨٩ - ديوان منجوهري الدامغانى	أبو نجم أحمد بن قوس	ت : محمد نور الدين
٢٩٠ - علم الترجمة واللغة	جورج مونان	ت : أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١ - المسرح الإسباني فى القرن العشرين ج ١	فرانشيسكو رويس رامون	ت : السيد عبد الظاهر
٢٩٢ - المسرح الإسباني فى القرن العشرين ج ٢	فرانشيسكو رويس رامون	ت : السيد عبد الظاهر

٢٩٣ - مقدمة للأدب العربي	روجر آلان	ت : نخبة من المترجمين
٢٩٤ - فن الشعر	بوالو	ت : رجاء ياقوت صالح
٢٩٥ - سلطان الأسطورة	جوزيف كامبل	ت : بدر الدين حب الله الديب
٢٩٦ - مكث	وليم شكسبير	ت : محمد مصطفى بدوي
٢٩٧ - فن النحوبين اليونانية والسورانية	ديونيسيوس ثراكس - يوسف الامواني	ت : ماجدة محمد أنور
٢٩٨ - مأساة العبيد	أبو بكر تافاوبليوه	ت : مصطفى حجازي
٢٩٩ - ثورة التكنولوجيا الحيوية	جين ل. مارس	ت : هاشم أحمد فؤاد
٣٠٠ - أسطورة برومتيوس مجأ	لويس عوض	ت : جمال الجزيري وبهاء جامين
٣٠١ - أسطورة برومتيوس مجأ	لويس عوض	ت : جمال الجزيري ومحمد الجندي
٣٠٢ - فتجنشتين	جون هيتون وجودي جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٣ - بوزا	جين هوب وبورن فان لون	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٤ - ماركس	ريوس	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٥ - الجلد	كروزيو مالابارت	ت : صلاح عبد الصبور

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ١٦٢٠٥ / ٢٠٠١



هذه الرواية يوميات مدينة أفسدت الحرب حياتها...
مدينة كانت تقاتل في بسالة؛ فلما دخلها المنتصرون أذلوا
شعبها بالجوع والمرض والحطة، والمدينة هي نابولي،
أول مدينة إيطالية دخلتها جيوش الحلفاء في سبتمبر عام
١٩٤٣، جيوش جائعة للشهوة والمتعة، وهي تبحث عن
متعتها في كل مكان.

ومؤلف هذه الرواية هو كورزيو مالابارته الكاتب
الإيطالي الشهير، الذي كتب إلى البابا يطلب مغفرته
على كتابة هذه الرواية التي كتبها على صورة فصول
مستقلة، تصور حياة مدينته التعسة بعد الحرب، ولكن
هذه الفصول جميعها تتكامل في بناء روائي يترك في
النفس إحساساً عميقاً بكراهية الحرب... الهزيمة فيها
والانتصار...

ومالابارته عرف الحرب معرفة وثيقة، فحين شبت
الحرب العالمية الثانية كان يعمل مراسلاً لإحدى الصحف
في الجبهة الروسية.

ومن انطباعات هذه الأيام التي صحب فيها الكاتب
جيوش الحلفاء كتب روايته هذه.. الجلد..